

السائدات

ومبادرة السلام تحليل نفسي إجتماعي



تأليف : سمير عبد العزيز فرج



المخابرات العامة

السلامة والأمن

ومبادرة السلام

(تحليل نفسي اجتماعي)

تأليف

سمير عبد الغني فرج
(رئيس قسم علم النفس)

٢٥ ديسمبر ١٩٧٧

إهداء

الى السيد الرئيس محمد أنور السادات
بطل السلام

الى سيدة مصر الأولى جيهان السادات
رمز السلام

الى مهد الحضارة مصر
أرض السلام

الى أسرة المخابرات العامة
درع السلام

حي يا شعر طلعة السادات
مجد سيناء ، مسترد القناة

يا أخا الريف يا نجى رباه
بين زاهى الجنى وغض النبات

حب مصر وقد حنوت عليها
فى شباب منضر الصفحات

حب أمن لها ورغد من العيش
ويمن فى الرزق والأقوات

حب نصر لجيشها وسلام
يغمر الشرق بالرخاء المؤاتى

عاش راعى الحمى أميننا وعاشت مصر تدعو له بطول الحياة

(أحمد رامى)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : « رئيس المخابرات العامة »

ستظل بطولات الرئيس « محمد أنور السادات » حديث المؤرخين في الحاضر والمستقبل • وسوف تدفع الباحثين - الى مدى بعيد - للقيام بدراسات غنية تثري الانسانية في نشاطها المتعدد • فهذا الزعيم العظيم قد حباه الله بعقريه متعددة الأبعاد ، طبعت وما تزال ، بصمات ناصعة على صفحات تاريخ مصر « مصر السادات » •

ان ثورة ١٥ مايو ، واطلاق الحريات ، والانفتاح الاقتصادى ، وطرد الخبراء السوفييت ، وانتصار أكتوبر المجيد ، هى أمثلة على قدرة هذا القائد الشجاع على زحزحة التاريخ عن ذلك الذى يعتبره من دونه من الرجال طريقا حتميا مرسوما •

وسوف يثير هذا الكتاب اهتمام القارئ وحماسه ، فهو
باكورة الدراسات العلمية المنظمة للوثبة التاريخية التي
نعيش - بين القاهرة والقدس . كما يواكب ايقاعها السريع .
ويتناول مبادرة السلام من خلال رؤية نفسية اجتماعية ،
فينسجم بذلك مع جوهر المبادرة وهدفها كما حددهما الرئيس
السادات • ويساعد من خلال لمحات جديدة على مزيد من فهم
الماضي والحاضر ، ويزيد الأمل في مستقبل مشرق للمنطقة كلها
ولسلام العالم •

كمال الدين حسن علي

مقدمة

بين القاهرة والقدس •• كانت خطوة عملاق •• وثبة
بطل •• رؤية عبقرى •• بصيرة مؤمن •• كانت مبادرة
السلام للرئيس « محمد أنور السادات » •

وفى يوم القيامة •• ستبعث الانسانية ساجدة الى الله جل
جلاله « الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن » تحمل فيما تحمل
من حسنات •• مبادرة السلام للرئيس السادات •• علها تكون
شفيعا لها عما ارتكبته من حروب وآثام •

وهذه الدراسة المتواضعة ، تحاول مستجيلا •• حين ترسم
بعض ملامح الزعيم العظيم •• من خلال رؤية نفسية
اجتماعية لمبادرته للسلام •

الفصل الأول « علم وايمان » يبين أن الرئيس السادات
لا يجمع جمعا اضافيا بين العلم والايمان ، فيتصرف بعلمية
بعثة فى مواقف ، وبايمانية خالصة فى مواقف أخرى ، ولكن
العلم والايمان قد امتزجا فى قلبه وعقله ، فأضحى يقود أُمته
فى كل قضاياها ، بأسلوب هو فى نفس الوقت ، علمى ايمانى .

والفصل الثانى « عبقرية وبطولة » يثبت - من خلال المعايير العلمية - أن عبقرية وبطولة الرئيس السادات ليستا صفتين قررتهما الجماهير العريضة المحبة له فحسب ، ولكنهما سمتين أصيلتين فى شخصيته متعددة الأبعاد .

والفصل الثالث « الولاء الحق » يعرض البناء الهرمى ، الذى ينتظم عليه ولاء الرئيس السادات ، لمصر وللعرب وللإنسان فى كل مكان . كما يتضمن مقارنة موضوعية فى بنية الولاء ، بين كل من « أنور السادات » و « جمال عبد الناصر » ومن يسمون أنفسهم « الجبهة الرفضة » لمبادرة السلام .

والفصل الرابع « الحاجز النفسى » يبين - من خلال دراسات نفسية اجتماعية قام بها باحثون مختلفون من أمريكا ومن إسرائيل ومن مصر - أن ذلك الحاجز النفسى ، الذى قال عنه الرئيس السادات أنه يمثل ٧٠٪ من المشكلة المطروحة ، هو فى نفس الوقت نتيجة وسبب ، للادراك الخاطيء ، المتبادل بين أطراف الصراع العربى الاسرائيلى .

والفصل الخامس « الحرب والسلام » يجمع بين نصر أكتوبر كعبور بالجسد ، وبين مبادرة السلام كعبور بالنفس ، فى بنیان واحد يشكل العبور العظيم لمصر ولكل دول المنطقة من حولها من أجواء الحرب والدمار الى أرجاء السلام والرخاء .

والفصل السادس « الأرض على مائدة المفاوضات » يحدد الشروط النفسية والموضوعية ، الضرورية لنجاح المفاوضات من أجل سلام عادل ، سواء تلك التي حققتها مبادرة السلام ، أو تلك المطلوب توافرها في شخصية المفاوض . ويناقش مشكلة « الأرض » على المستوى السيكلوجى – من المنظور العربى ومن المنظور الاسرائيلى – والدوافع والمبررات النفسية التي تثيرها لدى مختلف أطراف النزاع .

وسنختتم بالفصل السابع « معا .. نحو مستقبل مشرق » لنرى كيف تؤكد مبادرة السلام .. التوافق الفكرى الخلاق والتكامل القيادى المقدام .. بين السيد الرئيس « أنور السادات » – الأب الحكيم ، كبير العائلة المصرية العريقة .. وبين سيدة مصر الأولى « جيهان السادات » – الوفاء والأمل ، أم المصريين جميعا .. وكيف أنهما معا يقودان مسيرة مصر والعرب – فى خطى واثقة شجاعة – نحو مستقبل مشرق مزدهر .. ينعم فيه الجميع بالاخاء والرخاء .. وتتحقق فيه الأمانى المرتقبة والحضارة المنشودة لمصر عام ٢٠٠٠ .

ما أجمل أن يكون عام ١٩٧٨ هو عام السلام .. يستقر فيه الأمن والسلام لكل دول منطقتنا ، كى توجه كل طاقاتها الى رفاهية شعوبها وسعادة أفرادها ..

وفيه يهدى العالم جائزة « نوبل » للسلام الى الرئيس
محمد أنور السادات . . عرفانا وتقديرا لدوره التاريخي
من أجل سلام الانسان في كل مكان .

واذا كان هذا الكتاب قد شرف بصدوره في عيد ميلاد
الرئيس السادات ، الذي يلتقى - في نفس الوقت - مع عيد
« الكريسماس » المسيحي ، وعيد « الهانوكاه » اليهودي .
وفيه أيضا تشهد « الاسماعيلية » أول اجتماع - بعد مبادرة
السلام - بين قائد مصر ورئيس وزراء اسرائيل لبحث الخطوات
العملية لاقرار سلام شامل . .

فكم ستكون الفرحة رائعة وشاملة لكل شعوب منطقتنا
بهذا اليوم السعيد . . حين تستكمل خطوات السلام العادل
في العام القادم باذن الله . . فتحتفل مصر كلها ومعها كل انسان
يحب السلام . . بعيد ميلاد زعيمها . . عيد ميلاد السلام . .
ما أجمله عيدا قوميا لشعب عريق .

أيها البطل الجسور . . كل عام وأنت بخيرك وقوتك
وحكمتك . . ومصر كلها بخير وحرية وسلام .

« عاشت مصر »

سمير عبد العزيز فرج

٢٥ ديسمبر ١٩٧٧

الفصل الأول

علم و إيمان



علم وإيمان

« السلام عليكم ورحمة الله .. والسلام لنا جميعا باذن
الله .. السلام لنا جميعا على الأرض العربية وفي اسرائيل ..
وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته
الدامية ، المضطرب بتناقضاته الحادة ، المهدد بين الحين والحين
بالحروب المدمرة ، تلك التي يصنعها الانسان ليقضى بها على
أخيه الانسان » .

بهذه الكلمات المضيئة افتتح الرئيس «محمد أنور السادات»
خطابه التاريخي أمام الكنيست الاسرائيلي في ٢٠ نوفمبر
١٩٧٧ .

ان اختيار الرئيس السادات « تحية الاسلام » لتكون أول
حديثه لأعضاء الكنيست الاسرائيلي ، ولتكون أولى الكلمات
التي تتلقاها مسامع كل العالم المسيحي والاسلامى ، يعد
— بادىء ذى بدء — اعلانا عن ذكاء القائد وقوته ، الذى
اقتحم عدوه متحديا فى عقر داره ، وهو مجرد الا من سلاح
السلام .. سلاح يغرسه فى قلب كل من يريد أن يجعل من

اختلاف الأديان سببا للحرب .. سلاح ليس من حديد و نار ،
بل هو من غصن الزيتون ، نبت فلسطين .. أرض كل الأديان.

وكما كان السادات فى بداية خطابه قويا بسلام الاسلام ،
كان أيضا فى ختامه محكما بآياته ، فانتهى بقول الله تعالى :

« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم
واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له
مسلمون » •

بهذه الكلمات النورانية أراد السادات أن يشير الى حقيقة ،
علمية كما أنها كونية ، مؤداها أن الأجزاء بطبيعتها تسعى لأن
تتجمع فى البناء الذى يجانس فيما بينها ، سعيها لأن تنتظم
فى الصيغة التى تحافظ على اتزانها • ومن ثم فان اليهودية
كدين ، لا يمكن أن تشكل هذا البناء الكلى ، الذى يجمع بين
الأديان الأخرى - المسيحية والاسلام - فى وحدة كلية ، وذلك
بحكم سبقها عليهما ان لم يكن رفضها لهما •

واذن فان الدين اليهودى لا يمكن الا أن يكون جزءا من
بناء أشمل يستطيع الاستمرار فيه • وهذا أيضا ينطبق على
المسيحية كدين ، اذ هى بحكم سبقها على الاسلام ، وحساسيتها

مع اليهودية ، لا يمكن أن تشكل هذا الانتظام الكلى الذى
يتمكن من تحقيق الاتزان المنشود بين أجزائه .

وهكذا تقرر تلك الآيات الكريمة أن « الاسلام » هو الذى
يستطيع أن يشكل البناء العام أو الصيغة الجامعة التى تحقق
التوازن بين كل الأجزاء فى وحدة كلية منتظمة . إذ أن
المسلم لا يتحقق اسلامه الا اذا آمن - فى نفس الوقت - بكل
الأديان السابقة عليه - المسيحية واليهودية - والمنزلة من
الاله الواحد لهم جميعا . ولعل الحديث الشريف المشهور قد
أكد هذا المعنى حين قرر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أنه
كان بمثابة « اللبنة التى أتمت البناء » . ولكنها كانت لبنة
أساسية ، أشاعت فى كل البناء نورها وسلامها ، وضمنت له
التوازن والاستمرار باعترافها بكل لبنات البناء التى سبقتها،
فاستحقت بذلك دور الريادة . فكان محمد عليه الصلاة والسلام
اماما لكل الأنبياء حين صلى بهم عند الصخرة فى القدس ،
معراج رسول الله الى رب السموات والأرض والخلق جميعا .

ان حقيقة أن الاسلام هو الذى يشكل الانتظام الجامع الذى
يستطيع أن تتعايش بداخله كل الديانات الأخرى فى سلام
واتزان ، لا تنبع من نظرة ذاتية ، بل تقوم على تحليل
موضوعى غير متحيز . ذلك لأنها تستند من ناحية أولى الى

قوانين علمية وكونية عرضها « علم نفس الجشطالت (١) » ،
كما تستند من ناحية ثانية على مسلمات ثابتة في الدين
الاسلامى . ونقصد « بالمسلمات الثابتة » تلك الآيات القرآنية
التي لا يمكن لها أن تتغير . ولن يؤثر اذن فى مدى موضوعية
هذا التفسير ، أن يكون الاسلام ديناً حقاً فى عقيدة المسلمين ،
أو ديناً كاذباً فى نظر الملحدين ، لأن المسلم — بحكم عقيدته —
سيظل مؤمناً بالمسيحية ايمانه باليهودية ، كما سيظل مطالباً
بالمعاملة الحسنة حتى مع هؤلاء الملحدين الماديين ، طالما التزموا
بشروط السلام الأمين « وجادلهم بالتى هى أحسن » .

ان هذه القوانين العلمية التى تحكم الوحدة الكلية للبناء
« الجشطالت » ، تنطبق على العلاقات الانسانية انطباقها على
عالمى الفيزياء والبيولوجيا . ولعل الحديث الشريف قد عبر
خير تعبير ، عن هذه الوحدة ذات الطبيعة الدينامية ، حين شبه

(١) ظهرت نظرية « الجشطالت » فى ألمانيا عام ١٩١٢ . وهى تعبر
عن تيار فلسفى نفسى . وتدين بالوحدانية . فلا انفصال بين العقل والجسم
أو بين العقل والكون . بل هى تفسر العالم الفيزيائى والعالم البيولوجى
والعالم العقلى من خلال نفس القوانين والشروط التى تحكم مفهوم الصيغة
أو البنية . وتركز على التفاعل الدينامى والتأثير المتبادل الذى يحدث بين
أجزاء البناء الواحد . لينتج فى النهاية الوحدة الكلية للبناء . مكتسباً
بذلك خواص جديدة تميزه . وهى كنظرية نفسية تحاول اقامة تصور كلى
الطابع للسلوك . فالفرد يسلك تبعاً للموقف الذى يعيشه والمجال الذى
يتواجد فيه . وتبتعد عن التطرف موضع النقد فى كل من نظريات التحليل
النفسى (فرويد) والسلوكية (واطسن) . وقد ترجمت كلمة « جشطالت »
وهى بالألمانية gestalt الى عدة مرادفات منها : فى الانجليزية Structure
وفى الفرنسية : forme . وفى العربية : صيغة . بناء . بنية . انتظام .
وحدة كلية .

« المؤمن للمؤمن كالبنيان الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ،
تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » •

ولقد عبر الرئيس السادات عن الوحدة البنائية التي
تربط دول المنطقة من خلال كلمات بسيطة جامعة وردت في
افتتاحية خطابه التاريخي - فجسدت منذ البداية جوهر
القضية •

فأرض اسرائيل • • وأرض العرب • • جزءان من أرض
هذا العالم الكبير • وكل منهما - اسرائيل والعرب - يؤثر في
الآخر ويتأثر به ، كما - في نفس الوقت - يؤثر ويتأثر بكل
ما يجرى في بقية أجزاء العالم ، وان اختلف الأثر تبعاً
لاختلاف الجزء • ولكن هذا البنيان الكلي ، تسوده الصراعات
الدائمة ، ويضطرب بالتناقضات الحادة ، التي تهدد بين الحين
والحين بالحروب المدمرة ، تلك التي يصنعها الانسان ليقضى
بها على أخيه الانسان • ومن منطلق هذه الرؤية الشاملة ،
ينشد الرئيس السادات - بادىء ذى بدء - تحقيق الاتزان
لهذا البنيان بتحقيق السلام في المنطقة ، وفي كل مكان من
أرض هذا العالم • واذا كنا نحن - العرب واسرائيل - أولى
بتصفية الحرب الدائرة فيما بيننا ، فان بقية الدول شريكة
معنا أيضاً في هذه المسؤولية ، بحتمية التأثير المتبادل فيما بين
أجزاء عالمنا الكبير •

من خلال هذه الرؤية الأولى للقضية نشعر أن الرئيس
السادات يمارس سياسته بحدس علمي صادق وإيمان إسلامي
عميق . انه لا يجمع بين العلم والإيمان جمعا اضافيا ، بمعنى
أن يتصرف بعلمية بحتة في مواقف ، وبإيمانية خالصة في
مواقف أخرى . ولكن العلم والإيمان قد امتزجا في قلبه
وعقله ، فأضحى يقود أمته في كل قضاياها ، بأسلوب هو في
نفس الوقت : علمي إيماني .

وتقوده فطرته المؤمنة ، وبصيرته الملهمة الى منابع المباركة
في الإسلام الحنيف ، لينتقى منها ما يلائمه .

الفصل الثاني

عبقرية و بطولة



عبقرية وبطولة

لقد رسم الرئيس السادات ، منذ أن تولى حكم مصر ،
دائرة جديدة خارج مدارنا العظيم تثير الدهشة والاعجاب ،
وتجذبنا الى مسار جديد لمستقبل مجيد .

ان المجتمع الحر لا يستطيع أن يتقدم بدون أبطال ، فهم
أكثر الوسائل حيوية في اظهار قدرة الرجال الأحرار .
فالبطل يظهر للعالم أجمع الامكانيات غير المتوقعة في الفكر ،
كما أنه يظهر مصادر القوة التي لا يتخيلها الناس .

وكانت مبادرة السادات للسلام تأكيداً لسمات الحكمة
والبطولة التي يتمتع بها هذا الزعيم . فلقد تقدم بأمنته الى
آفاق جديدة - رآها هو فقط - بما رزقه الله من بصيرة - ففتح
الطريق ليتقدم عليه الآخرون . . يتحمل المصاعب وحده . .
ويتلقى الصدمة وحده . . ويستمر في تقدمه بقوة ايمانه
العميق وحده الصادق . حقاً ما قاله امرسون : « ان البطولة
تعنى المصاعب كما أنها تعنى تأخير المديح والراحة ، وكما
أنها تشمل ادخال العالم في دنيا البيت الصغير الخاص وادخال
الخلود الى الزمن الآتى المحدود الذي تقيسه الساعة في غرفة
الجلوس » .

ان ما يؤكد أن السادات نشأ بطلا عبقريا ، تلك المبادرات البطولية التي سبقت مبادرته للسلام . ان هذا التكرار البطولي انما يعنى أن كل مبادرة كانت فعلا مقصودا ينبعث عن أصالة ذاتية ، وليست سلوكا عشوائيا حدث من قبيل الصدفة . ولندكر بعض هذه البطولات المتكررة على سبيل المثال لا الحصر .

بدأ السادات منذ الثلاثينيات برفضه للواقع السياسى فى مصر آنذاك . ومن ثم أخذ يعد نفسه لتغييره تغييرا جذريا . وما كانت ثورة ٢٣ يوليو الا تعبيرا منه ومن اخوانه الأحرار عن القدرة على الانفصال عن واقع مرفوض ، سعيًا وراء جديد مأمول . ويبقى للسادات هنا مبادرته الأولى على هذا الطريق البطولى ، سواء حين اشترك فى ثورة شباب ١٩٣٥ ، أو حين قام بتشكيل أول تنظيم للضباط الأحرار عقب حادث الرابع من فبراير ١٩٤٢ . ثم كانت مبادرته بثورة ١٥ مايو التى وضع فيها حسه الصادق وقدرته على الاطاحة بمراكز القوى المضللة . فأنقذ شعب مصر من انحراف ثورته عن طريقها ، وكان التصحيح . ثم مبادرته بطرد الخبراء السوفييت متخطيا ببصيرته وأصالته كل المقاييس التى كانت فى متناول كل العقول آنذاك . ثم مبادرته بإطلاق الحريات وانشاء أحزاب المعارضة متجاوزا بذلك حذر الخائفين وصياح الجامدين . ثم كان قرار العبور فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ولو كان السادات قد سار فى تفكيره على أساس الحسابات العسكرية وقوانين الحرب

المتفق عليها ، أو استجاب الى تقديرات دعاة الهزيمة آنذاك ،
لما اتخذ مثل هذا القرار التاريخي . ولكنه أقبل على هذه
المسئولية الخطيرة بايمانه العميق وبذكائه المبصر . ولقد
صدق رسول الله حين قال : « احذروا فراسة المؤمن » .

انها قدرة البطل المؤمن على أن ينفصل عن الواقع الذي
يكبل الآخرين ، كى يخلق وحده الى أعلى . . يستقى من نور
السماء ما يغير به وجه الأرض . . ان اعتكافه فى رمضان مع
الرحمن . . وسكينته فى خلواته مع الأرض الخضراء . .
يتيحان لصفائه النفسى أرجاء فسيحة ، تساعد على مزيد من
التأمل لكل جوانب المشكلة المطروحة . . فاذا بنور الحل يشع
فجأة فى قلبه . . ومن ثم يكون القرار مصداقا لتفاؤله
الايمانى الذى يتخطى كل يأس أو قنوط .

وما كان قرار الذهاب الى القدس الا قدرة على الانفصال
عن الواقع الجامد للمشكلة ، وتحريكها من خلال رؤية جديدة
تماما ، كما أنه تعبیر عن مرونة مبتكرة ، وقدرة فائقة على
التكيف مع المشكلة ، من خلال حل جديد .

واذا كانت السمات الأساسية للذكاء هى : المرونة ،
الابتكار ، قابلية الفكر للتكيف ، فاننا - ازاء هذا السلوك
التاريخى الفريد - نكون اذن أمام عبقرية بطل ، لديه من
الثراء ما يمكنه من تكرار المبادرات البطولية ، ولديه من
الايمان ما يحميه من الأحقاد السوداء .

ان القول بأن الرئيس السادات يملك « عبقرية بطل » لا يأتي من فراغ أو من ذاتية متحمسة ، بل هو نتاج تحليل علمي وبديهي لأحداث كبرى شهد لها كل العالم ، ومن بينهم من يسمون أنفسهم بجماعة الرفض . ولعلنا ندرك للوهلة الأولى ، ان تلك المبادرات البطولية التي قدمت - على سبيل المثال « ثورة ٢٣ يوليو ، ثورة ١٥ مايو ، طرد الخبراء السوفينيت ، اطلاق الحريات ، قرار العبور في ٦ أكتوبر » كلها مبادرات تشترك في متشابهات هي :

- تبدأ من واقع مرفوض يتطلب تغييرا جذريا .
- تشكل حلا جديدا لا يخطر على بال .
- تلقى فور اعلانها تأييدا جامعا من شعب مصر ، الواعي بفطرته ، الواثق بقائده .
- تثير اعتراضات قوية من سياسيين مزايدين ، ورفضاً حاداً من معادين حاقدين .
- تحقق نجاحاً رائعا كحل نموذجي عند التنفيذ وبعده .
- تغير ذلك الواقع المرفوض الى الجديد المأمول .

ان تكرار مثل هذه المبادرات العظيمة ، واشتراكها في كل تلك المتشابهات الفريدة ، انما يشير - من وجهة نظر علمية - الى عبقرية صاحبها .

ألم يتعلم بعد هؤلاء الرافضون ؟ !

ان الرفض الأمين من سماته موضوعية المناقشة • وهو أيضا رفض شجاع ، مستعد لأن يتراجع اذا ما ظهرت له عوامل جديدة تدعوه لتعديل موقفه • كما أن الرفض اذا كان آمينا حقا يكون لزاما عليه في مثل هذه القضية المصيرية ، أن يدعم - بشكل أو بآخر - مبادرة الرئيس السادات ، طالما تنادى بنفس المطالب ، ثم عليه أن ينتظر النتائج ، فان كان نجاحا باركه ، وان كان اخفاقا فليبحث الجميع عن حلول أخرى .
ان هناك من الأخطاء ما هو حسن من حيث أنه يؤكد صحة طرق أخرى للحل • والحق أقول أن بعض الاخوة العرب قد اختاروا أن يقفوا - ازاء مبادرة السلام - على أبعاد مختلفة بين ذلك الرفض الأمين الايجابي ، وبين رفض أمين مقابل ، ولكنه يتصف بالسلبية المطلقة ، حتى أنك لا تكاد تسمع له صوتا •

أما ذلك الرفض السيكوباتي فانه ينبع من نفوس مريضة بعقدة النقص ، نفوس عاجزة لا تملك الا هذا الرفض الآلي - الرفض للرفض - فاذا أيدنا السودان والمغرب ، عارضنا رؤساء ليبيا والجزائر • هذا الرفض الميكانيكي ينبع من عقول غبية جامدة ، غباؤها لا يساعدها على استيعاب أبعاد المبادرة ، حتى وان حاولت ، كما أن جمودها يمنعها من ممارسة أى جديد ، فلا تملك الا أن تدور في دورة ألفتها ، وهى لا تدري أنها تدور حول نفسها •

ان مبدأ التقاء الوقائع أو تكرار المتشابهات ، يمكن أن يطبق هنا أيضا على سلوك هؤلاء الرافضين ، لاثبات آلية رفضهم وغباء عقولهم •

⊙ فقد رفضوا من قبل اتفاق فض الاشتباك الأول - بعد حرب أكتوبر - ثم تراجعوا !

⊙ ثم رفضوا اتفاق فض الاشتباك الثاني أيضا - ثم تراجعوا !

⊙ ثم رفضوا مبدأ التفاوض في جنيف من أجل السلام - ثم تراجعوا !

⊙ والآن يرفضون مبادرة السلام - ثم ... ؟ !

انه صدام بين الغباء والعبقرية .. بين الجمود والحركة .. بين الجبن والشجاعة .. بين التخلف والحضارة .. بين الأخذ والعطاء .. بين النرجسية والايثار .. ولكنه ليس صداما بين الشعوب .. ان جوهر المشكلة يكمن في تلك الفروق الكيفية في بنية الولاء •

الفصل الثالث

الولاء الحق



الولاء الحق

ان رئيس الدولة هو أولا وأخيرا . . فرد انسان . .
يتصرف طبقا لبنائه النفسى ، وتبعاً لادراكه للمواقف . ولعل
مفهوم « الولاء » يشير الى أحد الدوافع الأساسية خلف قراراته
المصيرية .

فماذا اذن تكون طبيعة البناء الذى يشكل ولاء الفرد ؟

وماذا تكون طبيعة البناء الذى يشكل ولاء رئيس الدولة ؟

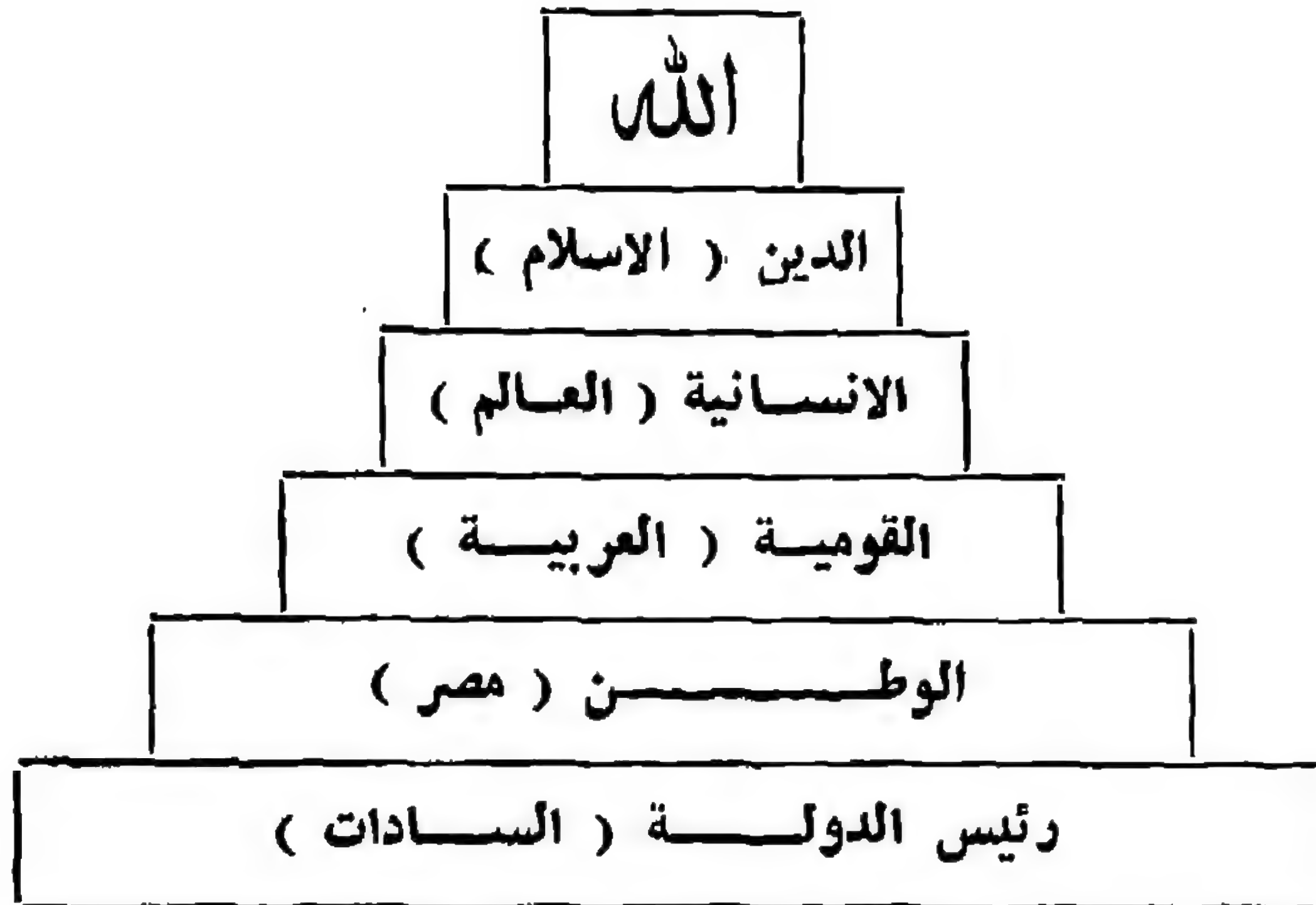
ناقشت فى دراسة سابقة (١) مفهوم « الولاء » للفرد ،
كوحدة بنائية متكاملة ، ذات طبيعة دينامية « جشطلت » .
وقد عرضته فى شكل بناء هرمى ، الفرد فى قاعدته ، والله
سبحانه وتعالى على قمته ، وبين القاعدة والقمة يكون المجتمع
بمختلف أبنائه . ولا شك أن الأسرة (الوالدين) تحتل
الدرجة الأولى الملاصقة للفرد ، وتشكل العامل الحاسم فى
تكوين ولائه ، يليها البيئة المعاشة (المدرسة) ، ثم محيط

(١) نفس الباحث - الولاء - دراسة نظرية تجريبية - المخابرات
العامة - ١٥ مايو ١٩٧٧ - الفصل الأول .

العمل (نوع العمل وعلاقات الرؤساء والزملاء) ، وبعد ذلك تأتي الوطنية ، فالقومية ، فالإنسانية ، فالدين .

ويكون ولاء الفرد اذن هو المحصلة النهائية للتفاعل الدينامي الذي يحدث بين هذه الأبنية الجزئية للبناء الهرمي الكلي ، كما أن الاتصال السليم بين قاعدة الهرم وقمته ، أعني بين الفرد وربّه ، هو السبيل الوحيد لتحقيق التوازن السليم في الوحدة الكلية للبناء .

ونناقش الآن - في ايجاز - مفهوم « الولاء » كوحدة بنائية تشكل جزءا أساسيا في البناء النفسي لرئيس الدولة . وسنقتصر على عناصرها التي نعتقد أن لها الدور الرئيسي ازاء بحثنا الراهن - ونعرضه في الشكل التالي :



لا شك أن التوازن السليم يتحقق فى هذا البناء ككل ، اذا جاء قرار رئيس الدولة منسجما مع متطلبات جميع الولاءات الجزئية للبناء الهرمى ، ومشبعا لحاجاتها • أى أن يكون محققا لذاته كفرد ، وملبيا لحاجات وطنه الذى يحكمه ، كذا حاجات باقى الأوطان الأخرى التى تندرج تحت راية القومية التى ترمز لهم جميعا ، كما لا يجب أن يتعارض قراره مع مطالب الانسان أينما كان ، ان لم يكن فى خدمته • وفى نفس الوقت يكون القرار نابعا من عقيدته الدينية ويحظى برضاء الأديان الأخرى خاصة فى داخل وطنه •

ان رئيس الدولة لن يستطيع أن يحقق هذا التوازن العام الا اذا كان الاتصال سليما بينه وبين الله سبحانه وتعالى الذى يهيمن على كل هذا البناء ، بل على كل الخلق أجمعين • ان الله فى علاه هو الواحد الأحد ، وما دونه هو العدد المختلف ، فاذا أردنا المركز الذى يتوحد عنده كل المختلفين ، فسننتهى الى الله سبحانه • ومن هنا فكلما كان قرار رئيس الدولة منسجما مع شريعة الله كلما حقق أفضل توازن بين أجزاء البناء التى سوف تتأثر به . ان مثل هذا القرار سيكون حتما قرارا مباركا لأنه نبع من ولاء حق • • لأن الحق جل جلاله قد شرع لنا السبيل لاقامة هذا البناء المتكامل ، وضمن لنا اتزانه واستمراره اذا ما أقيم على هدى القرآن وسنة الرسل •

ان مثل هذا القرار سيكون حتما قرارا مباركا حتى وان لم يوافق أهواء البعض ، صدقت نياتهم أو كذبت ، فى داخل

الوطن أو في خارجه • انه سيكون حتما قرارا مباركا حتى
ان تأخر نجاحه قليلا أو كثيرا • ولعل في صلح « الحديبية »
وفتح « مكة » برهان على ذلك •

ان الولاء الأفضل الذى ينبثق من ذلك البناء الهرمى ،
ليس هو مجموع الولاءات الجزئية التى يتضمنها البناء ، كما
أنه أيضا ليس موزعا بالتساوى فيما بينها - وذلك حسب
ما تقرره قوانين الانتظام الحسن • إذ أن كل جزء من هذا
البناء يضطلع بدور مختلف عن الأجزاء الأخرى ، كما أن هذا
الدور يختلف فى ظروف عن أخرى •

ومن هنا تكون الأهمية القصوى لرئيس الدولة بالنسبة
لدرجة حساسيته واستبصاره كى يدرك ادراكا سليما ،
الأهمية المتغيرة لكل جزء ، والطبيعة الدينامية التى تنتظم بها
الوحدة الكلية للبناء ، وأى الأجزاء (الوطن •• القومية ••
العالمية •• الدين) - فى ظروف محددة - يضطلع بالدور
الرئيسى فى حفظ توازن البناء الكلى ، بمعنى أنه اذا ما حدث
تغيير جوهري فيه يتبعه بالضرورة تغيير جوهري فى كل البناء.

ولعل أحد الفروق الجوهرية بين « أنور السادات »
و « جمال عبد الناصر » يكمن فى مدى تقدير كل منهما
للشروط الدينامية التى يقوم عليها التوازن العام فى
« جشطلت الولاء » •

فاذا صرفنا النظر عن الرأى القائل بأن عبد الناصر كان يسعى الى تحقيق مجد أكبر عن طريق زعامته للأمة العربية ، فانه يمكن القول بأن عبد الناصر قد قدر أن اذابة مصر فى اطار الأمة العربية وتوجيه معظم طاقاتها لتدعيم بقية أجزاء البناء العربى ، يمكن أن يحقق أفضل توازن فى الوحدة الكلية للبناء ، بما يجعله بناء قويا قادرا على الاستمرار ، ومن ثم فقد كان ولاؤه ذا صبغة عربية أكثر منها مصرية بالدرجة التى أخلت بتوازن البناء الكلى . ولعل الغاء اسم « مصر » ليصبح « الجمهورية العربية المتحدة » - حتى بعد فشل الوحدة مع « سوريا » - اشارة رمزية لهذا الاتجاه .

هذا الادراك من عبد الناصر يتنافى مع قوانين الانتظام أو مبادئ الجشطالت . إذ أن « مصر » - وان كانت جزءا من البناء العربى - الا أنها جزء حيوى يضطلع بالدور الرئيسى الحاسم فى هذا البناء ، بمعنى أن أى تغيير جوهري يحدث لها سوف يؤدى بالضرورة الى تغييرات جوهريّة فى كل أجزاء البناء . ولكن العكس قد لا يكون صحيحا دائما بالنسبة لبقية الأجزاء الأصغر . أى أنه اذا حدث تغيير جوهري فى دولة عربية صغرى فقد لا يترتب عليه نفس الأثر فى بقية الدول العربية . ان « مصر » هى قلب الأمة العربية ، وأى اضطراب يحدث لهذا القلب فانه سينعكس على كل أعضاء الجسد العربى . كما أن هذا الجسد يمكنه أن يعيش ويستمر ، حتى وان اضطر الى بتر اصبع أو أكثر ، من أصابع اليدين

أو القدمين • ان قوة مصر أخذت تضعف سنة بعد سنة منذ أوائل الستينيات ، أى منذ حرب اليمن ، فكان من السهل أن توجه لها ضربة قاضية فى يونيو ١٩٦٧ ، وبنكستها انتكست الأمة العربية معها • وعلى الناحية الأخرى ، فان التغيير الجوهري الذى حدث فى اليمن لم يؤدى الى تغييرات مناظرة فى بقية البناء ، بل ظل الجسد العربى وهنا مريضاً حتى جاء نصر أكتوبر ١٩٧٣ • ومن هنا فان توجيه طاقات مصر لخدمة أجزاء صغرى من البناء العربى بالحجم الذى يعمل على ضعفها ، يسبب اضطراباً فى كل التوازن العربى ، ليجعل منه بناء هشاً ضعيفاً - حتى مع وجود نجاح محلى فى أحد أجزاء الصغيرة .

وعلى خلاف عبد الناصر ، أدرك السادات - بحذسه الصادق - أهمية الدور الذى تلعبه « مصر » بالنسبة للأمة العربية ، كما أدرك أن العمل على تقوية مصر انما يقوى بدوره كل البناء العربى ويحافظ على اتزانه واستمراره ، بل ان الأمر يدعو بقية أجزاء الأمة العربية لأن توجه جزءاً من طاقاتها لتدعيم « مصر » ، كى تتمكن من الاضطلاع بدورها القيادى ، ليس فحسب لضرورة قومية ، بل لأن العائد سينعكس مرة أخرى على كل البناء العربى أضعافاً مضاعفة • وليس أدل على ذلك من نتائج حرب أكتوبر المجيدة ، فحين انتصرت مصر وعبرت قناة السويس ، عبرت معها كل الأمة العربية منتصرة فخورة • وحين قامت الدول العربية المنتجة للبترول - وفى مقدمتها المملكة العربية

السعودية - بقطع البترول عن أوروبا وأمريكا تدعيما لموقف مصر وسوريا في حربهما ضد العدو المشترك (العدو المشترك لكل الأمة العربية) زادت أسعار البترول ، ليرتد الثمن أضعافا مضاعفة للدول العربية المنتجة للبترول ، والتي كان عليها بدورها أن تزيد دعمها المالى والاقتصادى لمصر ، حتى تظل صامدة قوية تضطلع بدورها القيادى . هكذا تكون الدورة الدموية الصحيحة فى الجسد الصحيح المعافى ، وهكذا يتحقق التوازن السليم لكل البناء العربى . ولعلنا نلمح من خلال استبدال اسم « الجمهورية العربية المتحدة » باسم « جمهورية مصر العربية » دلالة رمزية تشير الى الادراك الواعى والعميق بدinاميات البناء العربى . فمصر جزء من الأمة العربية ، ولكنها بحكم وزنها الحضارى ، وحجمها الكبير ، ودورها الحاسم ، يجب أن نحافظ على كيانها قويا متوازنا ، اذا أردنا أن نحافظ على كل الكيان العربى قويا ومتوازنا مع بقية أجزاء عالمنا الكبير ، وذلك بحتمية الاعتماد المتبادل الذى يحكم أجزاء أمتنا العربية .

ومن هنا كان ولاء السادات لمصر ، هو فى نفس الوقت ، ولاء لأمتة العربية . انه ولاء قوى متوازن ، يقوم على وعى بالقوانين العلمية التى تحكم ديناميات هذه المنطقة من العالم . كما أن مبادرة السادات للسلام ما هى الا تجسيد لذلك الولاء الشامل ، الذى يلبي فى توازن سليم كل حاجات الولاءات الجزئية داخل انتظامها الهرمى (مصر - العرب - العالم -

الأديان) ، فى حين أن رفض المبادرة يعبر عن ولاء ناقص مريض ، وان اختلف المرض باختلاف الراضين .

أليس السلام القائم على العدل مطلباً وطنياً وقومياً ، يسمى اليه الانسان حيثما كان ؟ أليس هو دعوة الله لخلقه من خلال كل الأديان ؟

فاذا كان الجواب بالايجاب ، فان جوهر المبادرة اذن ينسجم بالضرورة مع كل البناء الهرمى للولاء الحق من قاعدته الى قمته .

ان ولاء السادات ، ولاء يبرأ من أن ينغلق على ذاتية ضيقة . ان السادات على طول كفاحه الوطنى قد وسع من ذاتيته حتى احتضنت كل وطنه . انه لم يعد فردا يعيش فى مصر ، بل صارت مصر هى التى تعيش فيه . ولقد كان فى تأجيل قرار الحرب عامين كاملين بعد عام الحسم فى ١٩٧١ الذى وعد به السادات ، ليكون فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، برهانا قاطعا على أمانة السادات وشجاعته ، وعلى صدق ولائه تجاه وطنه وعرويته ، وعلى استعداداه دائما لأن يضحي بذاته كفرد فى سبيل أمانة الحكم . وأعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد حقق للسادات وعده ، لأن عام الحسم هذا ، كان بالفعل عاما حاسما فى ذلك الخداع الاستراتيجى الذى مهد لحرب أكتوبر ، فاقتنع الاسرائيليون أن السادات انما يقول كلاما فقط ولكنه لا يستطيع التنفيذ ، الى أن تحطم خط بارليف فعرفوا أنه الوعد الحق .

ولقد اعترف بذلك الجنرال « حاييم هيرتسوج » فى كتابه
« حرب التكفير » فقال :

« كانت اسرائيل قد كونت صورة معينة للرئيس السادات
تقوم على أساس أنه يذهب فى استعداداته للحرب الى آخر
الحدود . . الى حافة الهاوية . . ثم يعود أدراجه مرة أخرى ،
وبناء على هذه الفكرة الخاطئة عن شخصية السادات ، اعتقد
القادة الاسرائيليون أن الأمر سيمر مثل المحاولات السابقة ..
واعتقدوا أنها مناورات أخرى سرعان ما تنتهى ، ثم مالوا الى
ابتلاع وسائل الخداع الأخرى التى ألقته اليهم القيادة
المصرية ، وأصبحوا بذلك يرون ولا يبصرون ، يرون بأعينهم
ولا يصدقون ما يرونه !! » .

**ان مبادرة السادات للسلام لم تعبر الا عن المطالب العربية
وهى :**

⊙ **انهاء الاحتلال الاسرائيلى لكل الأراضى العربية التى
احتلت بعد يونيو ١٩٦٧ .**

⊙ **الاعتراف بحقوق شعب فلسطين .**

اذن ماذا يرفض الرافضون ؟ !!

واذا سلمنا جدلاً أنهم لم يرفضوا ما نادى به السادات من شروط الحل الشامل للقضية ، ولكنهم رفضوا فقط ذهابه الى القدس ، بما قد يحمل معنى الاستسلام فى نظرهم • ولكن ألم يفطنوا الى أن الاستسلام يكون فى حالة أن يذهب السادات ضعيفاً كى يستمع الى شروط تملئ عليه ، ولكن ما حدث عكس ذلك ، فقد ذهب السادات منتصراً بعد حرب أكتوبر المجيدة ، وأعلن شروطه للسلام ، السلام القائم على العدل ، العدل والأمن لكل دول المنطقة • وهى نفس الشروط التى اتفق عليها العرب جميعاً فى مؤتمر الرباط •

واذن • فماذا يا ترى سبب الرفض ؟

انه الخوف والحقد ••

الخوف الطفولى ، خوف الطفل من ابتعاد أبيه • لقد خافوا أن يقرر السادات الانفصال عنهم سيرا فى اتجاه حل ثنائى بين مصر واسرائيل •

ولنقف هنا وقفة موضوعية • أليس معنى هذا الخوف الذى عبرت عنه تشنجات بعض الرافضين أن « مصر » هى العامل الحاسم فى القضية العربية ، كما يعنى فى نفس الوقت ، أن لديها القدرة على الاستقلال الذاتى للحل الذاتى ؟

واذا كانت لهؤلاء الرافضين القدرة على حلول ذاتية ترضيهم ،
أو ليس فى مجموع هذه الحلول الذاتية حلا للقضية كلها •
كان من الأولى اذن على هؤلاء الرافضين - اذا افترضنا حسن
نواياهم - اما أن يسعى كل منهم لحل ذاتى يرضيه ، واما أن
يلتحم بمصر ويدعمها فى موقفها طالما هى تنادى بحل عربى
شامل • ولكن هذا الرفض لا يتفق مع سمات النضج والاتزان
الانفعالى ، انه رد فعل يعبر عن خوف طفولى ليس له أساس
من الصحة • ان الصياح البذئء من أفواه الرافضين أشبه
بصياح مريض ذهانى يتخيل أشباحا تهاجمه ، وهى فى الواقع
لا وجود لها الا فى عقله المريض •

وحتى اذا سلمنا جدلا بدعوى الحل الثنائى بين مصر
واسرائيل ، فان مثل هذا الحل يكون خطرا على البناء العربى
فى حالة ما اذا انفصلت مصر - وجدانيا - ومصريا - عن
عروبتها ، ولكن مثل هذا الفرض مستحيل التحقيق ، لأن
العروبة هى هوية مصر بين العالم الفسيح ، انها جمهورية
مصر العربية • ولكن المنظور يختلف جذريا ، اذا ما نظرنا
الى افتراض « الحل الثنائى » ، وهو فى اطار حل شامل
للقضية ، وكان فيه قوة وتدعيما لمصر ، ان القوة المضافة
لمصر فى هذه الحالة - سواء كانت قوة سلام أو قوة حرب -
سوف تكون قوة مضافة للبناء العربى ككل ، من حيث أن مصر

— كما قدمنا — هي العامل الحاسم في المنطقة العربية • هذه القوة المضافة سوف تساعد بقية الدول العربية على حل شامل للقضية كلها •

فما بالنا ومصر تصر ابتداء على حل شامل للقضية !!

ان مبادرة الرئيس السادات للسلام ، انما هي تجسيد للولاء الحق ، من حيث هي تؤكد على مطالبها من خلال مطالب كل العرب ، كما تؤكد على مطالب كل العرب من خلال مطالبها . كل ذلك من خلال العدل الذي ترتضيه الانسانية كلها ، واستنادا الى الحق الذي شرعه الله تعالى •

ولكن ذلك الرفض النابع من الخوف ، فانه يعبر عن ولاء ضعيف غير متوازن ، ولاء ناقص غير متكامل ، هو على أحسن الفروض — ينغلق على وطنية محلية ليس لها امتدادا قوميا أو عالميا ، وطنية تنادى : أنا ومن بعدى الطوفان •

أما هؤلاء الرافضون بدافع الحقد ، فان رفضهم ينبع من ولاء مريض يقف عند حدود الذاتية الشخصية ، حتى وان تعارضت مع مصالح أوطانهم أو تعارضت مع كل شريعة ودين • فهم لا يرون من المبادرة الا أنها نبعت من الرئيس السادات ، ولا يدركون منها الا وقفة الاجلال والاحترام التي

وقفها العالم كله أمام هذا القائد الشجاع ، وهذا يكفي لأن
يشعل نار الغيرة والحسد في نفوسهم المريضة •

« قل أعوذ برب الفلق • من شر ما خلق • ومن شر غاسق
إذا وقب • ومن شر النفاثات في العقد • ومن شر حاسد إذا
حسد » •

ان النضج يعنى أن يتعامل المرء مع المواقف المختلفة
بما يناسب حجمه الحقيقى ، بلا زيادة تجره الى مقادير لا يقدر
عليها ، وبلا نقصان يحرمه من مكاسب ممكنة له ، وهذا ما عبر
عنه الحديث الشريف : « رحم الله امرئ عرف قدر نفسه » •
ولكن هؤلاء المرضى يسمعون الى أدوار هى فى واقع الأمر أكبر
من حجمهم الحقيقى ، ومن ثم يعوضون هذا الفرق بطريقة
سلبية بل ومرضية • فنراهم أحيانا يتحركون فى دائرة مغلقة
لا تقربهم خطوة نحو الهدف الذى يطلبونه • مثلهم مثل من
يسير فى محله « خطوة تنظيم » ليقنع نفسه أنه يتحرك ، حتى
لا يبدو واقفا أمام نفسه وأمام الآخرين • وهم كذلك منذ
قيام اسرائيل حتى الآن ، ولم تكن تلك الاسهامات التى قدموها
للصراع العربى - الاسرائيلى ، سواء فى شكل ارسال بعض
القوات الرمزية للجبهة المصرية السورية وقت الحرب ، أو فى
شكل مساعدات مالية متواضعة لا تفى بالحاجات الفعلية

للصمود المصرى ، كما لا تتوازى مع ثرائهم البترولى (خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول نتيجة حرب أكتوبر) ، أو فى شكل بيانات مؤيدة لا تغنى ولا تسمن من جوع - لم تكن مثل هذه الاسهامات المتواضعة لتحقيق شيئا أكثر من المحافظة على وضع : « محلك سر » . كما نرى هؤلاء الرافضين فى أحيان أخرى ، يعوضون ذلك الفرق بين حجمهم الحقيقى والأدوار التى يطمحون اليها ، وهى لا تخرج عن سعى وراء الزعامة ، بمثل هذه الشتائم البذيئة التى تنبعث من اذاعاتهم ، فتزيد من أعباء هؤلاء المكافحين ضد تلوث البيئة ، وقد اختاروا أن يلوثوا الهواء الذى يستنشقه كل الناس بأصواتهم الكريهة الحاقدة .

ولكن الرئيس السادات بمبادرته للسلام ، ارتفع فوق هؤلاء الأقزام ، فحدد من عليائه لب المشكلة وجوهرها ، لقد رأى ذلك الحائط الذى يمنع كل الأطراف من أن يخطوا على أرض الحب والسلام . أرض الرخاء والاخاء . . انه الحاجز النفسى .

الفصل الرابع

الحاجز النفسى



الحاجز النفسى

لعلنا من خلال عرض بعض ما كتب من آراء ودراسات اجتماعية ، وما نشر من بحوث نفسية ميدانية ، نستطيع أن ندرك بعض أبعاد حاجز الخوف والشك ، الذى يفصل بين اسرائيل والعرب ، لنعرف الى أى مدى كان هذا الحاجز النفسى — كما أسماه الرئيس السادات — يسبب ادراكا خاطئاً متبادلاً بين كلا الجانبين ، بما أفقد كليهما « الرخاء والأمن » على مدى ثلاثين عاماً مضت .

١ — عاموس ايلون :

كتب المؤلف اليهودى « عاموس ايلون » — وهو من مواليد اسرائيل — فى كتابه « الاسرائيليون — بناء وأبناء » :

« ان أهم معالم الشخصية اليهودية : الخوف . ففى داخل كل يهودى خوف لا حدود له . خوف لا يعرفه أحد فى العالم كله . وسبب هذا الخوف يرجع الى البيئة التى عاش فيها . فالذين ولدوا فى اسرائيل ، ولدوا فى ثكنة عسكرية مهددة بالموت فى أية لحظة . ولم يمض يوم واحد منذ أكثر من ٢٥ عاماً لم يمت فيه يهودى برصاص العرب . ولا يوم واحد ؟؟ .

وقد يتوقف الأجنبي أمام بعض الأعمال العنيفة أو حتى البطولية التي يقوم بها الجنود اليهود . ولكن السبب الحقيقي هو الخوف ، فخوفه الدائم يدفعه الى الاعتداء . أو الى الجنون في الاعتداء . أو الى تأكيد الذات . وفي استطاعتك ان تراقب طفلا صغيرا خائفا . انه يجرى بقوة ويصرخ بقوة وبقفز الحواجز ويدوس النار والزجاج المكسور حافي القدمين . انه ليس شجاعا . ولكنه جنون الخوف !

بل ان النشاط الدائم عند اليهود ليس له الا سبب واحد : الخوف . ان الخوف يعزله عن العالم لأنه يخاف . ولأنه يشعر أنه غريب بينما الناس كلهم في حالة أمن . هذا الشعور بالغربة والغربة يضايقه . ولذلك يبحث عن شيء يستغرقه تماما لعله ينسى .

والكتب والروايات والمسرحيات التي تتحدث عن هذه النزعات الموجهة لليهود لا حد لها . وكلها تروى هذا التمزق الفظيع في تكوينه النفسي .

ولعل ما كتبه الأدبية « يائيل ديان » ابنة موسى ديان في روايتها المشهورة « طوبى للخائفين » ما يؤيد أقوال « عاموس ايلون » ، فقد وصفت حالة يهود المستعمرات هكذا : « ان الشبان يخجلون من خجلهم ، ويخافون من خوفهم » يخافون من الحب . ويخافون من احساسهم بالضعف . بل ان الأمهات يندمن على أنهن يهوديات . فكل طفل وكل شاب وكل امرأة يجب أن

يحمى نفسه من مشاعره . . أن يقاومها أن يقضى عليها .
ألا يشعر باحتياجه الى شيء . أو الى أحد من الناس . يجب أن
يشعر الانسان بأنه أصم . بلا مسام . وأن لديه مناعة ضد
كل ما يهز أعصابه . . ولكن شعورا واحدا قويا يجب أن يبقى
وأن يقوى : شعور الشبان نحو المستعمرة ونحو الوطن .
فالمستعمرة فوق كل فرد . والوطن فوق كل المستعمرات وكل
دين وكل عقيدة .

٢ - موشى ديان :

في تصريح صحفى له في يناير سنة ١٩٦٨ تحدث « موشى
ديان » عن « الشخصية العربية » التى يسودها - فى نظره -
التعلق بالأوهام قائلا :

« ان العرب يعيشون فى عالم غير حقيقى ، وهم يفعلون
ذلك غالبا مثلهم كمثل الشخص الذى يحتاج الى الحشيش حتى
يحس أنه يعيش فى جنة عدن ، فالحقيقة بالنسبة لهم هى
الجحيم ! والعلاج هو ابتلاع حبة من حبوب الكذب التى تعطى
لهم الاحساس بالجنة . وغالبا ما يبدو لى أن كل العرب - وعلى
كافة المستويات - يتصرفون وكأنهم تحت تأثير المخدر .
والحقيقة أن الوهم أسوأ من الكذب . فأنت قد تكذب عامدا
وتسيطر على كذبتك ، أما بالنسبة للوهم فهو الذى يسيطر
عليك فى النهاية .

ان العقلية العربية لا تشغل فكرى كمشكلة سيكلوجية ،
انها تفسر لى لماذا لا يريد العرب الحرب ، وفى الحقيقة كان
من المنطقى عقب نهاية حرب الايام الستة ، حينما اكتشف
العرب أننا قابعون على ضفاف نهر الاردن وقناة السويس ،
أن يتجهوا الى المفاوضة (١) ولكن - وبعد مرور عام كامل -
لم يحدث شىء * ليس ذلك بسبب أن الحقيقة لا تثقل كاهلهم ،
ولكن لأن عقليتهم تقف وكأنها حاجز بينهم وبين الواقع ،
وتمنع عيونهم من أن تراه كما هو * انهم يفضلون تجاهل
الواقع ، ما دامت المفاهيم الخيالية التى يعيشون على هديها لم
تتخطم بعد *

٣ - دانييل هيرادفستيت :

فى مارس سنة ١٩٧٢ أجرى الباحث «دانييل هيرادفستيت»
سلسلة مقابلات مع مجموعة من أعضاء الصفوة الاسرائيلية
بلغ عددهم ٣٤ شملوا عددا من رجال أحزاب بارزين وكبار
موظفين فى وزارة الخارجية الاسرائيلية وأساتذة جامعيون *
وقد أجرى الباحث تحليلا كيفيا لاجابات عينة البحث هذه -
حول موضوعات متعددة تدور حول الصراع العربى الاسرائيلى
وتعرضوا من خلال اجاباتهم الى تصورهم للشخصية العربية ،
ويتركز فيما يلى :

(١) كانت المفاوضة بعد هزيمة العرب فى يونيو ١٩٦٧ تعد
استسلاما ، أما بعد انتصارهم فى أكتوبر ١٩٧٣ فالأمر يختلف *

(أ) العدوانية :

تتسم الشخصية العربية أولا - في نظرهم - بعدوانية أصيلة عكست نفسها على الصراع العربى الاسرائيلى . فهم يعتقدون أنه اذا كان العرب لم ينجحوا حتى الآن فى تصفية دولة اسرائيل ، فان ذلك ليس بسبب عدم توافر قصدهم ، ولكن لانهم لم ينجحوا فى ذلك ، كما أن قادة العرب ليسوا مخلصين اطلاقا فى السعى نحو السلام .

ويردون هذه العدوانية الاصيلية فى الشخصية العربية الى الاسلام الذى نادى بسمو المسلمين على غيرهم ، بالاضافة الى أنه دين له نزعة حربية .

(ب) الانفعالية :

ان مشكلة العرب الرئيسية هى عدم قدرتهم على قبول دولة اسرائيل ، وسبب هذا الرفض هو اتجاه العرب الانفعالى اللاعقلانى وخصوصا فيما يتعلق باتجاههم ازاء اسرائيل ، وهذه الانفعالية ترد - فى نظرهم - الى « ضعف حضارى » . والعالم العربى - فى نظرهم - يعانى من « أزمة هوية » Identity Crisis أدت الى شعور العرب بالاحباط الذى عكس نفسه على الاهتمام المفرط باسرائيل . ويرون أن العرب قد تخف درجة انفعاليتهم ، ولكن ضعفهم الحضارى سيستمر فترة طويلة .

(ج) الشعور الحاد بالاحباط :

ان فشل العرب فى عمليات تحديث مجتمعاتهم ، قد عكس نفسه فى صورة شعور حاد بالاحباط خصوصا حينما يقارنون بين ما حققوه وانجازات اسرائيل . ويعتبر ذلك فى حد ذاته ضد مصلحة اسرائيل لانه يؤدى الى شحن العرب بطاقات عدوانية موجهة ضد اسرائيل .

٤ - هاركابى :

انتهى العالم الاجتماعى « هاركابى » فى دراسة نظرية له عن أسباب « انهيار العرب فى حرب الستة أيام » الى أن سبب هزيمة العرب يرجع أساسا الى عاملين هما : **الفردية** من ناحية ، و**اتجاه العرب ازاء الحقيقة والواقع** من ناحية أخرى .

و حين تحدث عن العامل الاول « الفردية » قال ان « الاشتراكية العربية » لم تخلق الوعى بالحاجة الى العمل فى سبيل الصالح العام . ان غياب الوعى السياسى والصعوبات القائمة أمام جعل « الاتحاد الاشتراكى العربى » مؤسسة سياسية فعالة ، ناجمة - فى جزء كبير منها - الى الاحساس بأن كل فرد عليه أن يحارب معركته فى الحياة بمفرده ، وذلك نتيجة لتفتت المجتمع ، وضعف الصلات بين أفراده .

ويرى هاركابى أن هذه السمة لا تظهر عند العربى فقط باعتبارهم فردا ما دام يمتلك نفس القدرات والمواهب التى

يملكها غيره من الناس ، ولكنها ترد الى ضعف جماعى أو حضارى . Collective or Cultural Weakness ضارب بجذوره فى أرضية العلاقة بين الفرد تجاه مواطنيه وتجاه مجتمعه •

وحين تناول السبب الثانى فى هزيمة العرب « اتجاه العرب ازاء الحقيقة والواقع » بدأ تحليله بإبداء دهشته من كثرة استخدام الكذب والتزييف فى حياة العرب العامة • فزعماء العرب - فى نظره - كثيرا ما يصدرون أقوالا كاذبة مما يؤدى الى تضليل شعوبهم . ويقرر هاركابى فى تحليله أن الكذب هو وليد العداوة بين الناس • فسيادة الكذب بين العرب يمكن أن يرد الى العداوة بينهم • فكلما كان الفرد قريبا من الآخر كلما تخرج من أن يكذب عليه •

ه - صنوع :

يؤيد عالم النفس الأمريكى اليهودى الدكتور فيكتور صنوع (١) ما توصل اليه الدكتور هاركابى من دراسته النظرية ، ولكن من خلال حصيلته لنتائج الاختبارات النفسية التى طبقت على أسرى الحرب المصريين ، ويؤكد أن جوهر

(١) دكتور فكتور صنوع هو أستاذ علم النفس فى كلية مدينة نيويورك ، ورئيس المجلس الدولى لعلماء النفس ، الذى عقد أول اجتماع له خارج الولايات المتحدة الأمريكية فى سبتمبر ١٩٧٠ فى جامعة بارايلان بإسرائيل • والدكتور صنوع يهودى مصرى الأصل ، ومن الواضح أنه صهيونى متعصب •

المشكلة يتمثل في اتجاه العرب ازاء الواقع ، وتسامحهم ازاء الكذب ، وميلهم الى المبالغة . ويرجع صنوع الى أبحاث الباحث الانثروبولوجي « حامد عمار » في بحثه المعروف عن « التنشئة الاجتماعية في قرية مصرية » التي تفسر نتائج بعض الانماط السلوكية على ضوء دراسة أساليب تربية الاطفال في قرية مصرية ، وتوجد بين هذه الاساليب طريقة لفرض الطاعة من خلال تخويف الأطفال من كائنات خرافية ، فالغول مثلا يصور باعتباره وحشا ضخما غزير الشعر يفترس الاطفال المشاغبيين . ويشير صنوع الى أن حامد عمار في بحثه يذكر أنه تحدث مع عديد من الاطفال في قرية في الدلتا وأكدوا له أنهم فعلا سبق لهم رؤية الغول ! والطفل لكي يهرب من العقوبة يبتكر حيلة لكي يكذب . ويقتبس من عمار قوله : « ان آثار هذه التكييفات الخاصة بالخوف واجبار الاطفال على اللجوء الى الاكاذيب والخداع ، ينعكس مؤخرا في حياتهم حينما يشبون عن الطوق ويصبحون رجالا راشدين ، يسود حياتهم الشك ، والتكتم والخوف » .

٦ - شاؤول فريد لندر :

لم يختلف البروفيسور الاسرائيلي « شاؤول فريد لندر » عن النتائج التي انتهى اليها كل من هاركابي وصنوع الا في عدد من التساؤلات والتحليلات الذكية التي عرض لها في كتابه « تأملات حول مستقبل اسرائيل » والذي صدر في عام

١٩٦٩ • ومنها : « لنفترض قيام العرب بشن حرب على إسرائيل ، عن طريق توجيه هجوم مفاجيء دون أى استفزاز من جانب إسرائيل وعدم تدخل الاتحاد السوفيتى مباشرة ، فماذا يمكن أن تكون نتيجة المعركة ؟ » !!
وبعد ما اعتمد على هاركابى فى الاشارة الى نقاط الضعف الكامنة فى صميم المجتمع العربى ، والتي تعتبر من أسباب هزيمة العرب ، طرح السؤال الهام التالى :

« هل تعتبر نقاط الضعف هذه ملازمة حقا للمجتمع العربى وتقاليده الثقافية واتجاهاته السيكلوجية العميقة ، أم أن الامر يتعلق بظاهرة عارضة يمكن أن تختفى نتيجة لثورة اجتماعية حقيقية ؟ » !!

ويواصل فريد لندر : « وفيما يتعلق بى ، فانى أشك فى أن يكون القصور العربى متأصلا فى تكوينهم ، ويبدو لى أن من شأن تغيير المجتمع جذريا القضاء عليه ، ولا شك فى أن مثل هذا التغيير لا يقع بين يوم وليلة ، ولكن اذا أمكن لإسرائيل أن تعتمد على الاجل القصير والمتوسط ، أى فى السنوات المقبلة على نقاط الضعف العربية آنفة الذكر ، فانه من الخطر أن تعتمد على ذلك لفترة أطول (١) » .

(١) أثبتت حرب أكتوبر ومبادرة السلام أن القصور العربى كان ظاهرة عارضة ، وأن الرئيس السادات قد استطاع بإيمانه وحكمته أن يقضى على سلبيات من سبقوه وأن يكشف بانتصاراته عن الوجه الحقيقى للعرب .

٧ - روبنز :

غير أن حقيقة الافكار القومية النمطية التي صاغها اليهود الاسرائيليون ازاء العرب قد كشفت عنها بعض البحوث التي قام بها باحثون أجانب في اسرائيل . ومن أبرز هذه البحوث دراسة ميدانية قام بها « روبنز » ونشرها بعنوان : « الاتجاهات والأفكار النمطية ، وضروب التعصب بين العرب واليهود في اسرائيل » - يقرر روبنز أن اليهود لم يعنوا كثيرا بالتفكير في مشاكل العرب - وبحسب تعبيره : « ربما كان اتجاه اليهود الاسرائيليين السائد ازاء العرب هو اللامبالاة ، وهو اتجاه يفوق في رسوخه اتجاه الشك فيهم » .

ويقرر « روبنز » أنه حين يستفيد العرب في اسرائيل من بعض التطورات الاقتصادية فان اليهود الاسرائيليين ينتظرون منهم أن يشعروا بالامتنان . ان اليهود الاسرائيليين ينكرون على العرب ما اعتبروه هم الدافع المحرك لهجرتهم الى فلسطين، وهو تحقيق الذات القومية . كما أن غالبية اليهود الاسرائيليين يؤيدون سياسات الحكومة الاسرائيلية الخاصة بفرض القيود العنيفة على العرب ، يزعم أن اعتبارات أمن اسرائيل لها الأولوية على حقوق العرب الانسانية .

ومن ناحية أخرى ينكرون حقوق اللاجئين الفلسطينيين على أساس أن مشكلتهم ينبغي على الدول العربية أن تجد حلاً لها .

ويقرر « روبنز » - بمنتهى الوضوح - يبدو أن الدولة الاسرائيلية قد رعت ودعمت الاتجاهات بين السكان اليهود حتى لا يهتموا بالعرب ولا بمشكلاتهم ، وحتى تصبح لا مبالاة لهم بها اتجاهها راسخا .

واليهود الاسرائيليون مشغولون بأنفسهم ويركزون كل اهتماماتهم على مشكلاتهم ، وهم لذلك - نتيجة لمجهود الدولة وأجهزتها الدائبة في تدعيم الوعي الزائف لديهم - أصبحوا عاجزين عن تقدير الموقف الحقيقي للعرب بصورة واقعية فهم ينظرون لاسرائيل باعتبارها يهودية ، أما العرب فهم الأجانب.

ان اتجاهات الشك ازاء العرب تجد تبريرها عند اليهود الاسرائيليين فيما يطلقون عليه « العقلية الشرقية » . وهذه هي النغمة الرئيسية التي ما أكثر ما ترددت في الكتابات الاسرائيلية عن الشخصية العربية . والعقلية الشرقية تتسم في نظر اليهود الاسرائيليين بملامح تتمثل في : عدم الصبر على التعليم ، الافتقار للطموح ، انعدام الأخلاق ، نظرة تقليدية ومحافظة للعالم ، وتركيز الاهتمام على الأسرة وليس على مصلحة البلد .

٨ - الرأي العام الاسرائيلي :

أ - قام معهد « لويس هاريس » بقياس الرأي العام الاسرائيلي تجاه مسائل الحرب والسلام ، وذلك لحساب مجلة

التايمز ، ونشرت نتائجه في العدد الصادر في ١٢ أبريل
سنة ١٩٧١ •

وقد وجه السؤال التالي الى الاسرائيليين اليهود :

هل توافق على العبارة التالية ؟	نعم	لا
• العرب أكثر كسلا من الاسرائيليين	٥٣٪	٣٦٪
• العرب أقل ذكاء من الاسرائيليين	٧٤٪	١٩٪
• يشعر العرب بحقد أعمى تجاه اسرائيل	٦٨٪	٢٦٪
• العرب أشد قسوة من الاسرائيليين	٧٥٪	١٧٪
• العرب ليسوا في شجاعة الاسرائيليين	٨٠٪	١٢٪
• العرب أقل أمانة من الاسرائيليين	٦٦٪	٢٠٪
• العرب أدنى من الاسرائيليين	٦٧٪	٢٣٪

وخلاصة النتائج السابقة تعنى أن العرب يتسمون - في
نظر الغالبية العظمى من الاسرائيليين اليهود الذين سئلوا في
هذا المقياس - بالسّمات الآتية :

كسالى • ذكائهم منخفض • تملؤهم مشاعر الحقد تجاه
اسرائيل • قساة • خونة • وجبناء •

ب - وقد قام معهد « لويس هاريس » لحساب مجلة التايمز باستفتاء مشابه ، وأذاعت نتائجه و.أ.ف/ نيويورك .

ونجد فى هذا القياس النتائج التالية :

- ٢٣٪ من الاسرائيليين يشعرون بالضيق من الجلوس جنباً الى جنب مع عربى فى مطعم .

- ٤٢٪ يشعرون بالضيق اذا استقرت أسرة عربية فى منزل مجاور .

- ٧٤٪ يشعرون بالضيق اذا شاهدوا أطفالهم يرتبطون بروابط وثيقة مع أطفال من العرب .

- ٨٤٪ يشعرون بالضيق اذا تزوج صديق أو قريب من عربية .

ج - وفى استفتاء للرأى العام الاسرائيلى أجرته الصحافة الفرنسية ونشرت نتائجه يوم ٦/٤/١٩٧١ بعنوان : « المعتدون قلة فى اسرائيل » :

٩٦٪ من الاسرائيليين يرفضون مبادلة الأراضى المحتلة بالسلام .

٧٢٪ يريدون الاحتفاظ بשרم الشيخ .

٣٦٪ يريدون الاحتفاظ بالجولان .

د - وقد أجرى معهد الأبحاث الاجتماعية التطبيقية ومعهد العلاقات العامة في الجامعة العبرية قياساً حديثاً للرأى العام الاسرائيلى ، حيث أجاب المشتركون (١٨٧ فرداً) عن رأيهم فى اقامة مستوطنات مدنية فى المناطق المحتلة كما يلى :
(المصدر : ن * م * د * ف ملحق العدد (٥) ، أول مارس ١٩٧٣)

أماكن المستوطنات	يؤيدون	يرفضون
— على امتداد غور الأردن •	٪٩٠	٪١٠
— فى مرتفعات الجولان •	٪٩٦	٪٤
— فى مشارف رفح وشمالى سيناء •	٪٧٥	٪٢٥

وهكذا يمكننا من تلك الدراسات والبحوث السابقة تكوين الملامح الأساسية للمفهوم الاسرائيلى عن الشخصية العربية كما يلى :

« العرب لا يفهمون سوى لغة القوة ، ولذلك فاتباع سياسة الردع والعنف معهم هى الأسلوب الأمثل • وهم قوم فرديون ، مفككون ، يميلون الى الكذب والمبالغة وخداع الذات . وهم بالمقارنة بالاسرائيليين كسالى وجبناء وخونة ، ومستوى ذكائهم منخفض ، وعلى الجملة أدنى من الاسرائيليين » •

فماذا يا ترى تكون الملامح الأساسية للمفهوم العربى عن الشخصية الاسرائيلية ؟

٩ - أنيس منصور :

يعتبر الأستاذ « أنيس منصور » من أبرز الكتاب المصريين الذين اهتموا بدراسة الشخصية الاسرائيلية ، فضلا عن أنه كان أستاذا جامعيا للفلسفة . وقد عرض فى كتابه « الحائط والدموع » أبرز ملامح الشخصية الاسرائيلية التى انتهى اليها ، ويقول :

« أهم صفات الرجل اليهودى هى أنه يريد أن يستقر . .
وأن يهدأ . . . فقد تعب من السفر من بلد الى بلد . . وقد
تعب من الطرد من كل بلد . . ولذلك فهو شديد الخوف وسريع
الفرع . . وكل يهودى يريد أن يكون مثل نوح : يعوم حتى
لو غرقت الدنيا كلها . . أو يفرق الدنيا كلها ليعوم بعد
ذلك . . ومن أهم صفات اليهود أيضا أنهم لا يتركون هيئة
أو مذهباً لا يتسللون اليه ويتعصبون له كأنهم أصحابه . .
أو ينسفونه من الداخل . . وفى الحالتين يحاول اليهود : أن
يوجهوا كل شئ الى ناحية خاصة تنفعهم - كل دين وكل
مذهب . . »

١٠ - د٠ قدرى حفى :

يكاد ينفرد الدكتور « قدرى حفى » بأجراء دراسة سيكلوجية متكاملة لفهم الشخصية الاسرائيلية ، أو بشكل محدد بيان المكونات السيكلوجية للاشكنازيم الاسرائيليين (١) عن طريق فهم ودراسة عملية « التنشئة الاجتماعية » أو من خلال اعادة صياغة نتائج دراسات نفسية قام بها باحثون اسرائيليون وأجانب على المجتمع الاسرائيلي .

وقد خُصص د٠ قدرى فى كتابه « تجسيد الوهم » الى خاصيتين سيكلوجيتين ميزتا المناخ الذى تمت فيه تنشئة ذلك الجيل من الرواد من أولئك المهاجرين القدامى الذين قامت على أكتافهم دولة اسرائيل ، وهما : « الشعور بالتمايز » و « الشعور بالاضطهاد » .

أ - الشعور بالتمايز :

يستخدم المؤلف تعبير التمايز تاركاً - عن عمد - استخدام تعبيرين آخرين هما « الامتياز » و « النقاء العنصرى » ،

(١) اشكناز هو أحد أحفاد نوح . وهم اليهود الغربيون (حوالى ٨٥٪ من يهود العالم ، ٥٠٪ فى اسرائيل) والصفوة المسيطرة على اسرائيل سياسيا وعسكريا . ويقابلهم اليهود الشرقيون « السفارديم » الذين ينتمون حضاريا وعرقيا الى العرب . وقد يحرص الاشكنازيم على ائارة الحروب فى المنطقة خوفا من السلام الذى قد يعمل على الاندماج الحضارى والتقارب الوجدانى بين السفارديم والعرب فيؤدى الى عزلتهم .

ذلك على اعتبار أن التمايز لا يعنى دائما الامتياز كما هو الحال فى التمايز النازى - وهو يشير بذلك الى حقيقة سيكلوجية مؤداها أن هناك علاقة وثيقة تربط من الناحية السيكلوجية وخاصة فى سيكلوجية الأعماق - بين الاحساس « بالدونية » والاحساس « بالتفوق » ، بحيث يصعب على المرء أن يحدد طبيعة تلك العلاقة ، وما اذا كانت علاقة سبب بنتيجة أم علاقة شكل بمضمون أم هى علاقة تتال وتتابع زمنى .

ويناقش المؤلف وهو يستعرض الدراسات والبحوث السابقة فكرة النقاء العنصرى للجنس اليهودى ، ذلك الادعاء الذى فندته حتى الدراسات الغربية ، مبينا كيف أن هناك أفكارا أخرى بدأت تحل محل النقاء العنصرى ، منها مسألة التمايز العقلى والتمايز الجسمى والتمايز الانفعالى ، وكيف أن البحوث والدراسات فندت هذه الأفكار أيضا .

ب - الشعور بالاضطهاد :

وفى المقابل لفكرة النقاء العنصرى نبعت فكرة أن اليهود « يُضطهدون » . وفى ضوء حقيقة سيكلوجية معروفة ، وهى أن كل قضية ، أو فكرة ، تحمل نقيضها أو تحتوى عليه ، يفسر المؤلف هذا العنصر بأنه نتاج لفكرة أخرى مؤداها أن اليهود « سبب شرور العالم » . كما يتعرض لفكرة الاضطهاد من الناحية التاريخية حتى عند صورة الاضطهاد النازى فى أعنف صورته . ويقرر أنه حتى الآن ما يزال الفكر الصهيونى

مركزا على عنصر الاضطهاد حتى أصبح هذا العنصر ضمن المكونات السيكلوجية الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية. ويؤكد هذا العنصر ما كتبه الأستاذ أنيس منصور في كتابه « الصابرا » :

« . . وفي اسرائيل مقابر كثيرة وكلها تاريخية . وكلها يجب الوقوف عندها . ولا بد من البكاء . وفي أعياد اسرائيل المقدسة أيام للبكاء . . وفي مثل هذه الذكريات يذهب طلبة المدارس الى المقابر . وقبل أن يذهبوا لا بد أن يشرح لهم المدرسون كيف كانت السجون ومعسكرات الاعتقال . . انهم كانوا يسجنون اليهود كالبهائم ليذبحها الجزار ؟

ويتساءل الأطفال : اليهود فقط !

ويقال لهم : نعم اليهود فقط .

ويتساءل الأطفال : ولكن لماذا لم !

ويكون الرد : في ذلك الوقت لم تكن لنا دولة ولا جيش . ومن أجل ذلك أصبح لنا جيش لكي ننتقم من كل الناس .

ويبقى عند الأطفال ، ولا يزال عند الكبار ، هذا الشعور بالحنين - هذا الشعور بالعار .

وقد خلصت دراسات د* قدرى حفى عن المكونات
السيكلوجية للأشكنازيم وهى - كما يقول - السيكلوجية
التي تسود التجمع الاسرائيلى ، حيث هم (وليس السفارديم)
مؤسسوا الدولة الاسرائيلية ويحتلون المناصب الرئيسية فى
الجيش الاسرائيلى ، فضلا عن أنهم يمثلون - خارج اسرائيل -
مخزون الهجرة المستقبلية لها ، كما أن الأشكنازيم هم أصحاب
الكيبوتزات الاسرائيلية • هذه الخصائص السيكلوجية
الأساسية التي تشكل فى تفاعلها ما أطلق عليه شخصية الجماعة
الاشكنازية الاسرائيلية هي :

العدوانية ، الانطوائية ، التمرکز حول الذات ، التشاؤم ،
التشكك ، الجمود ، اللانفعالية •

ويقول د* قدرى حفى أن تلك الخصائص السيكلوجية
للأشكنازيم الاسرائيليين تتسق اتساقا تاما مع الخصائص
الايدولوجية للفكر الصهيونى وما يتميز به من ميل للعنف
وحض عليه ، وما يروج له من دعاوى استعادة أرض الميعاد ،
وتحقيق رسالة شعب الله المختار ، وما الى ذلك • بل ان تلك
الخصائص السيكلوجية تكاد تكون ترجمة سيكلوجية مباشرة
للمناخ الذى كان يسود « الجيتو » اليهودى الأوروبى حيث
تتضخم الى أقصى حد مشاعر الاحساس بالاضطهاد وبالتمايز •

من كل هذه الدراسات السابقة ، يتضح جليا التشابه الكبير ، الذى يصل الى حد التطابق ، بين ادراك كلا الجانبين - الاسرائيلي والعربى - للآخر . ويمكن لنا أن نرد تلك الصفات المختلفة ، التى حاول كل طرف أن يثبتها كسمات أصيلة فى شخصية الآخر ، الى أصل واحد هو : العدوانية (سواء الكذب والغباء والجبن والتخلف فى الشخصية العربية ، أو التشاؤم والانطواء والجمود والأنانية فى الشخصية الاسرائيلية) . هذه العدوانية جعلت كل طرف لا يدرك من الطرف المقابل سوى صفات بغيضة ، ويعمى عن أى سمات حميدة ، ويشترك فى ذلك العلماء وغير المتخصصين .

وعلى ضوء فكرة انتقائية الادراك وهى من الأفكار الكلاسيكية فى علم النفس ، فقد أصبح من المسلم به أن الانسان لا يدرك كل ما يقع على حواسه من مؤثرات ، بل انه لينتقى منها أشياء ويترك أخرى . ونستطيع القول - تبسيطا - أن الانسان يدرك ما يريد أن يدركه ويرفض أو بالأحرى يعجز عن ادراك ما لا يود ادراكه . ذلك هو شأن البشر جميعا رغم تفاوت درجات انتقائيتهم هذه ، من فرد الى آخر ، ومن موقف الى آخر .

ولعل ميكانيزم « الاسقاط » Projection الذى كشفه العالم اليهودى الشهير « فرويد » يساعد على تفسير هذا الادراك الخاطيء المتبادل .

فقد ذهب « فرويد » الى أن الاسقاط هو أحد العمليات الدفاعية التي يعزو فيها الفرد دوافعه واحساساته ومشاعره الى الآخرين أو الى العالم الخارجى * ويعتبر هذا بمثابة عملية دفاعية تتخلص منها « الأنا » Ego من الظواهر النفسية غير المرغوب فيها والتي ان بقيت - سببت الألم للأنا * وقد أوضح « فرويد » هذه العملية الدفاعية فى سياق حديثه عن احدى حالات « البارانونيا » (الاحساس بالاضطهاد بشكل مرضى) الشهيرة بحالة « شربلر » *

وليس بمستبعد اذن ، ازاء أحد الاسرائيليين ، أن يعمل ميكانيزم « الاسقاط » على النحو التالى :

ـ أنا أحب العربى :

فقد كان على مر التاريخ هو الأكثر تسامحا مع اليهودى ، ودينه يدعو الى حسن المعاملة مع اخوانه من أهل الكتاب ، كما أنى عشت فى مصر أحلى أيامى *

ولكن هذا الحب الذى يتحدث به قلبى حرام على *

ومن ثم تبدأ عملية دفاعية أخرى كشفها « فرويد » تسمى « التكوين العكسى » Reaction Formation وذلك تحت ضغط « الأنا الأعلى » Super Ego (الضمير) فتحول : « أنا أحب العربى » الى :

– أنا أكره العربى :

غير أن هذه الكراهية أو العدوانية دافع غير مقبول كذلك.
فيلم كبتته *

ولكن هذا الكبت كعملية دفاعية ليس حلا نهائيا للموقف ،
اذ لا يؤدى الى حماية « الأنا » تماما * ولذلك فلكى تتخلص
« الأنا » من هذه الدوافع العدوانية فانها تقوم باسقاطها على
الشخص الآخر (العربى) *

– العربى يكرهنى :

ولذلك فهو عدوانى ويسعى الى قتلى والقائى فى البحر *

– اذن أنا أكره العربى لأن العربى يكرهنى *

وهى كراهية مشروعة اذن ..

ولذلك فعلى أن أقتله قبل أن يقتلنى *

كما أنه ليس بمستبعد أيضا ، ازاء أحد العرب ، أن يعمل
ميكانيزم « الاسقاط » على النحو التالى :

– أنا معجب بالاسرائيلي :

فهو حتى اذا كان مغتصبا لمساحة من الأرض أقام عليها
دولته ، بعد ذلك الشتات والضياع والاضطهاد على مدى

التاريخ ، الا انه نجح في فترة وجيزة أن يحقق تقدما
تكنولوجيا كبيرا في مجالات متعددة ، كما أن اسرائيل ذات
العدد المحدود قد انتصرت أكثر من مرة على العرب وهم كثرة .

ولكن هذا الاعجاب الذي يحدثني به قلبي حرام على .

ومن ثم يحدث « التكوين العكسي » :

— أنا أكره الاسرائيلي :

ثم يحدث « الاسقاط » . .

— الاسرائيلي يكرهني :

وقد اغتصب أرضى وقتل أهلى ، وأطماعه لا تقف عند حد ،
فهو دائما يطلب المزيد من الأرض ويسعى لمزيد من القتل .

— اذن أنا أكره الاسرائيلي لأن الاسرائيلي يكرهني :

وهى كراهية مشروعة اذن . .

ولذلك فعلى أن أقتله قبل أن يقتلنى .

وقد أكد « فرويد » أن ميكانيزم « الاسقاط » مثل باقى
الحيل الدفاعية الأخرى يعمل على مستوى « اللاشعور » (١) ، أى

(١) أنظر لنفس الباحث . علم النفس فى المخابرات العامة - ٦ أكتوبر
١٩٧٦ - الفصل الثانى .

أن الفرد لا يعي إطلاقاً ذلك التغيير من : « أنا أحب » الى :
« أنا أكره » ، وإنما فقط يجد نفسه يكره ، ويعادى ، ويقتل .
ما هي النتيجة الحتمية لارتفاع هذا الحاجز النفسى
الرهيب ؟

الحرب ••

كانت الحرب المستمرة بين اسرائيل والعرب هي النتيجة
الطبيعية لتبادل الكراهية والشك فيما بينهما طيلة هذه
السنين • هذه العدوانية المستمرة كان لها دائماً استجابة
واحدة هي : الحرب • كما أن الحرب بدورها تؤدي الى مزيد
من العدوانية التي تفتح بدورها الطريق لحرب جديدة ••
وهكذا • لقد ضاع من كلا الجانبين كثير وكثير من الضحايا فى
أحلى سنى العمر ، كما ضاع كثير وكثير من الرخاء والأمن ،
وهما يتأرجحان بين هذين القطبين :

العدوانية ←————→ الحرب

ومن هنا نشأت نظرية الأمن الاسرائيلى كرد فعل لهذه
السيكلوجية الضارة • وآمن الاسرائيليون بأن أمنهم لن يتحقق
الا داخل الدولة اليهودية ، أى أن فكرة الأمن طرحت بشكل
يربط أمن الدولة الصهيونية بأمن الانسان الاسرائيلى
وبالعكس (وقد ساعد على تعميق هذه الفكرة عدم وجود

برنامج عربي يطرح قضية أمن الاسرائيليين كتجمع بشرى منفصلا عن أمن الدولة) . ويؤكد فكرة الأمن هذه ، ما صرح به « موشى ديان » (١) : « اننا الآن . . وبعد حرب الأيام الستة . . نرابط على قناة السويس ، وفوق الجولان ، ووادي عربة ، ونهر الأردن ، للمحافظة على أمن اسرائيل » .

لقد كانت انتصارات اسرائيل في حروبها ضد العرب (باستثناء حرب أكتوبر) ، تعد من وجهة نظر سيكلوجية ، من قبيل سوء الحظ للقضية المطروحة . فلقد ساعدت على تثبيت تلك الدورة المغلقة بين العدوانية والحرب ، وذلك على الأقل في نظر دعاة نظرية الأمن الاسرائيلي وأغلبهم من الجيل الرواد الذين نشأت اسرائيل على أكتافهم . ومن ثم فان نصر اسرائيل في حروب : ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ كان بمثابة العامل المثبت الذي أبطل تأثير عاملا مضادا آخر ، كان يكفي لهدم نظرية الأمن الاسرائيلي ، وهو احساس الفرد الاسرائيلي بالتهديد الدائم ، وافتقاره للشعور بالأمن الحقيقي الداخلي .

فلقد كان لزاما عليه وهو يزرع الأرض بيده أن يحمل البندقية على كتفه ، كما كان عليه وهو يسامر زوجته وأولاده أن ينصت بخوف الى الراديو مترقبا نداء الاستدعاء للحرب .

ولقد أثبت النصر الحاسم لاسرائيل كدولة في يونيو ١٩٦٧ أنه ليس بقادر على تحقيق الأمن للفرد الاسرائيلي !

(١) ي . ب . ٩ / ٩ / ١٩٦٩ .

اذ أن العدوانية المتولدة من الحرب ، كفيلة بأن تَوْرِق الطرف المهزوم ، فيعمل دوماً على جمع شتاته وقوته ، كي ينتقم .
كما أن حذر المنتصر سوف يسرق منه احساسه بالأمن ، ويطفئ رويدا رويدا نشوة النصر .

ولقد وصفت التسجيلات الصوتية لأبناء المستعمرات الاسرائيلية بعد حرب ١٩٦٧ ، التي نشرها «عاموس ايلون» ، هذه الحالة النفسية التي تشير الى خيبة الأمل التي أصابت الإسرائيليين ، فبعض هذه التسجيلات يقول :

— لقد كنا نمشي في الشوارع والناس يصفقون لنا .
ولكننا كنا أكثر حزنا . ولا نعرف لماذا هؤلاء سعداء !

— قالوا في سنة ١٩٥٦ أن هذه هي آخر حرب — وجاءت حرب سنة ١٩٦٧ . هل نمضي العمر كله في الرمال فقط والتغذي على الكراهية والحقد والبكاء . ألا توجد في الدنيا عواطفنا أخرى .

ويقول «موشي ديان» في مذكراته عن سنة ١٩٥٦ أنه فوجيء بشيء عجيب . لقد سمع أن عدداً من الضباط يشتغلون بتحضير الأرواح في الجبهة . وأن تحضير الأرواح عن طريق البسلة . يقول : « ولم أصدق ما سمعت . وذهبت لأرى . ولم أصدق ما رأيت . وسألت هؤلاء الضباط المثقفين الممتازين :

كيف هذا ؟ !

فقالوا جميعا فى نفس واحد :

لو عشت مثلنا هنا على خطوط النار سنوات طويلة ورأيت
كيف يختفى أعز أصدقائنا واحدا بعد واحد .. وتختفى معهم
كل المعانى الجميلة فى الحياة لأحسست أن الحياة لا معنى لها
الا معهم .. ولذلك فنحن نستحضر أرواحهم كل ليلة ..
لنشعر بشيء من الحياة الاجتماعية وسط هذه الرمال
الموحشة » *

الفصل الخامس

الحرب و السلام



الحرب والسلام

اذا كان قرار السادات بحرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قد حقق
لمصر وللعرب عبورا منتصرا بالجسد .. فان مبادرة السادات
للسلام في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ حققت لمصر وللعرب وللعالَم
عبورا شجاعا بالنفس ..

انه بوحدة الجسد والنفس .. بعبور أكتوبر .. وعبور
نوفمبر .. اكتملت وحدة العبور العظيم من أجواء الحرب
والشك الى أرجاء السلام والأمن ..

٦ أكتوبر المجيد :

في هذا اليوم العظيم انتصرت مصر ومعها كل العرب ..
لأول مرة ، وهزمت اسرائيل .. لأول مرة .. فكانت صدمة ..
أعادت عزة العرب .. صدمة كسرت غرور اسرائيل .. كشف
العربي عن قوته الكامنة ، وتشكك الاسرائيلي في أسطورة
تفوقه .. ارتفع المغبون الى أعلى .. فاكتشف أنه ليس قاصرا
أو ضعيفا .. وسقط المغرور الى أسفل .. فادرك أنه ليس
مختارا أو موعودا .. تقدم المسلوب ولم تمنعه حصونهم المتينة ..
وتراجع الغاصب ولم تحميه حدوده الجديدة .. تقابل الصاعد

مع الهابط على أرض الحقيقة • وعرف الاثنان - الاسرائيلي والعربي - أن قضية النصر أو الهزيمة في صراعهما المستمر، ليست مرهونة بسمات أصيلة في شخصية كل طرف ، فالانسان هو الانسان في كل مكان • • ومن ثم فالنصر أو الهزيمة في الصراع العربي الاسرائيلي موقفان يمكن أن يتبادلهما كل طرف على السواء •

ان الكلمات التالية للسيد الرئيس أنور السادات ، تؤكد الدروس العميقة والمعاني الانسانية التي تحققت في هذا اليوم العظيم •

« لم يكن السادس من أكتوبر ، مجرد انتصار سلاح على سلاح ، ولم يكن مجرد تفوق جيش على جيش ، لقد كان نصر أكتوبر وسيبقى رمزا لما هو أعمق من ذلك بكثير وأبعد تأثيرا على مسار التاريخ المعاصر » •

« كان كسرا لغرور القوة ، وكان اسقاطا لأسطورة تفوق الانسان على الانسان ، وكان تأكيدا لما يمكن أن تصنعه ارادة الكرامة والعدل ، وترسيخا لقيمة ممارسة الحق والديمقراطية، وتجسيدها لما يمكن أن تؤدي اليه الوحدة الوطنية ، والالتفاف الجماهيري حول الأهداف القومية » •

« وكان نصر أكتوبر أيضا وسيظل ، درسا أدرك منه العالم أن السلاح بالانسان وليس الانسان بالسلاح » •

كانت نتائج هذه الحرب المجيدة - على المستوى
السيكولوجي - على عكس نتائج الحروب السابقة عليها . فبينما
كانت تلك الحروب المتوالية تساعد على تثبيت الدائرة المغلقة
التي قدمنا : العدوانية \rightarrow الحرب ، فان حرب رمضان -
أكتوبر ، هي التي مهدت السبيل لكسر هذه الدائرة الضارة لكل
أطراف الصراع .

لقد كان لا بد للجانب الذي ذاق الهزيمة على مدى ربع
قرن - فاخترن طاقات عدوانية متراكمة - كان لا بد له أن
يذوق طعم النصر .

ان حرب أكتوبر قد ساعدت على اقامة توازن سيكولوجي
كان ضروريا لكلا الجانبين - اسرائيل والعرب .

هذا التوازن السيكولوجي تحقق كما يلي :

- ان انتصار العرب وفي مقدمتهم « مصر » في ٦ أكتوبر ،
ساعد على تفريغ تلك الطاقات العدوانية المتراكمة ، ومن
ثم أحدث خلا سيكولوجيا كبيرا لأحد أطراف المعادلة
الضارة : العدوانية \rightarrow الحرب . وهذا ما عبر عنه
الرئيس السادات بقوله : أن جيل أكتوبر قد صار - بعد
أن انتقم وانتصر في ١٠ رمضان - يخلو من أية عقد
نفسية ، ولذلك فهو الآن يخطو نحو السلام في ثقة
واتزان .

- ان نجاح جيش اسرائيل فى احداث ما سمي « بالشغرة » فى خط المواجهة المصرى شرق وغرب قناة السويس ، كان عاملا مساعدا كبيرا فى اقامة هذا التوازن السيكلوجى . ان ايقاف المعارك على مسرح القتال على تلك الصورة ، حيث جيش مصر قد حقق الانتصار فى ارجاع القوات الاسرائيلية عبر تلك الموانع الرهيبة (قناة السويس ، السد الترايى ، خط بارليف) ، وحيث جيش اسرائيل قد حقق نجاحا (فى هجومه المضاد) عبر تلك الشغرة الضيقة ، ان ايقاف المعارك على هذه الأوضاع مكن كل طرف من أن يجد المبرر الكافى لتحقيق الرضاء السيكلوجى المطلوب . فالجانب الاسرائيلى ادعى « أنه لو كان القتال قد استمر لكان من الممكن تطوير هذا النجاح » . والجانب المصرى العربى أوضح أنه « لو كان القتال قد استمر لقضى بسهولة على القوات الاسرائيلية فى الشغرة » .

ان الدعاية الخادعة التى أقامتها اسرائيل لهذه الشغرة ، والتى حجبت حجمها الحقيقى ، قد حققت أثرا كبيرا فى اقامة هذا التوازن النفسى لدى الشعب الاسرائيلى . اذ أن العدوانية التى تم تفريفها من الجانب المصرى العربى من خلال الانتصار ، لم يتم ازاحتها ونقلها كلها كى تضاف الى رصيد العدوانية فى الجانب الاسرائيلى ، ومن ثم تدفع

بدورها الى حرب جديدة من أجل الانتقام . لقد ولدت هذه الثغرة مبررا سيكولوجيا اسرائيليا يقاوم هذه العدوانية الجديدة ، خاصة اذا ما استند هذا المبرر على رصيد الانتصارات السابقة لاسرائيل .

- ان نقص الطاقة العدوانية من كلا الطرفين (العرب بالتفريغ ، واسرائيل بالمبرر) استتبعه بالضرورة نقص الدافع لحرب جديدة ، خاصة اذا ما أدخلنا في حساباتنا المصاعب الاقتصادية لدى كل منهما ، والرغبة الملحة في انتهاء حالة الحرب . أملا في تحقيق الأمن والرخاء .

- ان حرب أكتوبر قد أثبتت خطأ نظرية الأمن الاسرائيلي ، ولم تكن قناة السويس والجولان ، حدودا آمنة لاسرائيل . كما قرر « ديان » . لقد أظهرت بوضوح أن أمن الفرد الاسرائيلي منفصلا - الى حد كبير - عن أمن الدولة الاسرائيلية اذا ما قيس هذا الأمن بأبعاد جغرافية فقط .

ان أمن الفرد الاسرائيلي هو مسألة سيكولوجية بحثية ، ومن ثم لا بد من البحث عن حدود سيكولوجية آمنة ، بدلا من السعي وراء حدود جغرافية مهددة .

ان السلام هو الذي يرسم للجميع - اسرائيل والعرب - هذه الحدود السيكولوجية الآمنة . . وهو البديل الوحيد لتلك الدائرة الضارة :

العدوانية → ← الحرب

لتحل محلها هذه الدائرة المفيدة :

السلام → ← الرخاء

ان السلام سوف يؤدى الى تعاون كل الأطراف لتحقيق
الرخاء لجميع دول المنطقة • كما أن هذا الرخاء سوف ينبت
بدوره بذورا جديدة للحب والأمان •

مبادرة السلام :

الله هو السلام • • والايمان هو الطريق • • أما العلم فهو
الخطوات التى تسير • • وما كانت مبادرة السادات الا الخطوة
الأولى على هذا الطريق الأمين • ان السلام هو منهج السادات
وهدفه ، والنسيج الذى يشكل شخصيته • ولعل حرصه على
أن يمضى عيد ميلاده فى قرينته « ميت أبو الكوم » ، ليكون
مع تسابيح الطيور على الزرع الأخضر ، يدل على رغبته
الفطرية فى أن يبتعد عن شوائب المدنية التى صنعها الانسان ،
كى يعيش مع صفاء الطبيعة التى خلقها الرحمن • أن يستبدل
الضجيج بالهدوء • • والصراع بالسلام •

والحرب هي أبغض الحلال ، وقد شرعها الله فقط كي تكون الوسيلة الأخيرة لتحقيق السلام العادل . وهكذا أراد السادات لحرب رمضان . . أن تكون مقدمة لمبادرة السلام . . أن تكون آخر الحروب في المنطقة .

ولقد سبقت هذه الحرب المجيدة محاولات جادة للسلام . فقد أعلن الرئيس السادات في ٤ فبراير ١٩٧١ أنه مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ، وكان هذا هو أول اعلان يصدر من مسئول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي الاسرائيلي . كما أنه - وهو في قمة الانتصار - أعلن في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب المصري الدعوة الى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم .

ان السلام هو الهدف الحقيقي لحرب أكتوبر ، كما أن مبادرة السادات هي الوسيلة لتحقيق هذا الهدف المأمول ، وبدونها يظل انتصار أكتوبر متوقفا خلف حائط الشك والخوف . . سبب كل الحروب والعدوان . . ذلك الحاجز النفسي الذي يفصل بين اسرائيل والعرب . ومبادرة السلام هي التي كسرت هذا الحاجز النفسي كي يلتقى الجميع على أرض الثقة والأمان . ان الخطاب التاريخي للرئيس السادات أمام الكنيست الاسرائيلي يوم الأحد ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ يجسد هذا المعنى .

قال الرئيس السادات :

« . . لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخيم مرتفع حاولتم أن تبنيه على مدى ربع قرن من الزمان . . . وعلينا أن نعترف معا بأن هذا الجدار قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣ . ولكن بقي جدار آخر . هذا الجدار الآخر يشكل حاجزا نفسيا معقدا بيننا وبينكم . حاجزا من الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من خشية الخداع ، حاجزا من الأوهام حول أى تصرف أو فعل أو قرار ، حاجزا من التفسير الحذر الخاطيء لكل حدث أو حديث . وهذا الحاجز النفسى هو الذى عبرت عنه فى تصريحات رسمية ، بأنه يشكل سبعين فى المائة من المشكلة .

واننى أسألكم اليوم - بزيارتى لكم - لماذا لا نمد أيادينا، بصدق وإيمان وإخلاص ، لكى نحطم هذا الحاجز معا ؟ » .

لقد وضع الرئيس السادات اصبعه على المفتاح الحقيقى للسلام ، الذى يمكنه أن يغير الاتجاه النفسى ، ليس للشعب الاسرائيلى ازاء العرب فحسب ، بل بين كل القوى المتصارعة ، كى يتحول الشك الى ثقة ، وتنقلب الكراهية الى محبة ، وتستبدل الحرب بالسلام .

كيف حقق السادات بمبادرته نجاحا مذهلا - من وجهة النظر السيكلوجية ؟

ان اجابة هذا السؤال سوف تتضح من خلال اجابتنا على السؤال التالى :

ما هي مكونات الاتجاه النفسى للفرد الاسرائيلى ازاء العرب ؟

ان الفرد أثناء نموه تنتظم معارفه ، ومشاعره ، وأفعاله بالنسبة للموضوعات الاجتماعية المختلفة وتصبح نظاما داخليا نسميها الاتجاهات . وعندما نقول ان الاتجاه الاجتماعى هو « نظام داخلى » فمعنى ذلك أننا نوكد على الارتباط الداخلى بين هذه المكونات الثلاثة . فعندما ترتبط هذه المكونات تصبح معتمدة على بعضها ، لأن معرفة الشخص لموضوع معين تتأثر بمشاعره وبأفعاله تجاه هذا الموضوع . فاذا حدث تغيير فى معرفته عن الموضوع فان هذا التغيير فى المعرفة قد يحدث تغييرا فى مشاعره وأفعاله تجاهه . أى أن الاتجاه النفسى هو بمثابة « جشطلت » يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية هي : المعرفة ، والشعور ، والفعل . وعلى أساس التفاعل الدينامى بين هذه الأجزاء يتشكل اتجاه الفرد وشدته .

والفرد الاسرائيلى - من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فى اسرائيل ، ومن خلال الاعلام الموجه لشعب اسرائيل - قد انتظم اتجاهه ازاء العرب على أساس معارفه المستمدة بما يقال عن « أرض الميعاد وشعب الله المختار » ، وعلى أساس شعوره الذى تسوده الكراهية والعدوانية ، وأيضا على أساس أفعاله المناهضة التى تتصاعد ، حتى تصل الى الحرب المسلحة . ومن ثم فان هذا الاتجاه الذى تكليس عبر هذه السنين الطويلة ،

إذا كان له أن يتغير ، فانما يكون بتغيير حاسم لأحد هذه المكونات الثلاثة أو أكثر .

فإذا كانت المعرفة تأتي أساسا من وسائل الاعلام ، وإذا كان الاعلام الاسرائيلي - نتيجة عوامل متعددة - هو بالفعل أقوى من الاعلام العربي ، خاصة تجاه الشعب الاسرائيلي ، فان تغيير الاتجاه الاسرائيلي لن يتأتى اذن عن طريق هذا المكون الحيوى « المعرفة » . ولقد ثبت ذلك طوال السنوات الماضية ، فلطالما نادى العرب بحقوق شعب فلسطين مستندين الى حقائق تاريخية لا تقبل المناقشة ، ومع ذلك فان أصواتهم ذهبت هباء ، ولم يحدث التغيير المطلوب .

كما أن العرب قد أخفقوا - على مدى ربع القرن الماضى - فى تغيير السلوك الاسرائيلي تجاههم . بل ان هذا السلوك يزداد عدوانية ، كما أن الحرب تزداد ضراوة . وبذلك يكون كل من : « المعرفة » و « الفعل » كجزئين ضمن مكونات الاتجاه الثلاثة ، قد ثبت - حتى الآن - قصورهما فى تغيير الاتجاه الاسرائيلي ازاء العرب .

واذن فلم يبق من مكونات الاتجاه الا « الشعور » .

وهنا .. وضع الرئيس السادات اصبعه على مفتاح التغيير، تغيير الاتجاه النفسى الاسرائيلي المشبع بالكراهية والعدوان تجاه العرب عن طريق تغيير مشاعرهم وهز وجدانهم .

هذه الاستراتيجية النفسية الخلاقة ، لم يستطيع ادراكها من يسمون أنفسهم « جبهة الرفض » ، ومعهم بعض من الصحفيين الاسرائيليين ومن أعضاء الكنيسة ، فحين درسوا خطاب الرئيس السادات في القدس ، من وجهة النظر المعرفية، وجدوا أنه ما زال يصر على مبادئه التي سبق أن أعلنها ، وقد نادى بنفس الشروط العربية المتفق عليها لاقامة السلام العادل ، ولذلك فقد وقفوا حيارى أمام الحفاوة البالغة التي عبر عنها الشعب الاسرائيلي في استقباله للسادات ، فور سماعه لخطابه التاريخي !

على أن أثر مبادرة السادات على تغيير اتجاه الشعب الاسرائيلي ازاء العرب ، وان جاء كنتيجة مباشرة لمعالجة الجانب **الشعوري** ، الا أنه في نفس الوقت يتضمن أيضا معالجة غير مباشرة - ولكنها فعالة - لمكون « **الفعل** » ، أحد مكونات الاتجاه الاسرائيلي • ان السلوك العربي الانتقامي (وان كان على حق) طيلة السنوات الماضية ، ليس له الا أن يدفع الى سلوك اسرائيلي عدواني كرد فعل له (وان كان على باطل) • ان من شأن هذا المناخ أن يجانس ويقود كل المشاعر والمعارف لخدمة السلوك العدواني الجاري بين الطرفين ، فضلا عن أنه يعمل على اسكات صوت الضمير الجماعي - الضمير الاسرائيلي أو الضمير العربي • ولكن زيارة السادات للقدس ، وهو أقوى

زعيم لأكبر دولة عربية ، وبيده قرار الحرب أو السلام ، هذا السلوك الجديد ، كان له فعل الصدمة على الوجدان الاسرائيلي ، انه بلغة الطب النفسى كان بمثابة صدمة كهربية عاجلت مركز الشعور فى المخ الاسرائيلي ، فأصبح جاهزا لتلقى العلاج النفسى من خلال خطاب السادات فى الكنيست . هذا الفعل الجديد . . وجوهه السلام . . لا بد له أن يولد رد فعل اسرائيلي مقابل يقوم على السلام . ان من شأن هذا المناخ الصحى أن يجانس ويقود كل المشاعر والمعارف لتحقيق أمل الشعب الاسرائيلي والشعوب العربية فى حسن الجوار ، كما من شأنه أن يسمح لصوت الضمير أن يعلو - الضمير الاسرائيلي والضمير العربى - وفى الكنيست قال السادات « لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم » .

لقد قام معهد البحوث التطبيقية فى اسرائيل الذى يرأسه عالم النفس الاسرائيلي المعروف « لويس جوتمان (١) » بدراسة شاملة للرأى العام الاسرائيلي بعد رحلة الرئيس السادات الى القدس . وكانت أداة البحث عبارة عن استمارة تحوى عددا من الأسئلة تتناول مختلف الاتجاهات السياسية المتصلة بالصراع العربى الاسرائيلي ، وكانت عينة البحث تتكون من ٥٢٦ اسرائيليا . وكان من بين الأسئلة المطروحة السؤال التالى :

(١) الأهرام - عن د . « ستيفن كوهن » أستاذ علم النفس بجامعة هارفارد .

« هناك من يقولون أنه - حتى للوصول الى حل سلمى مع العرب - يجب عدم الرجوع الى حدود ما قبل ١٩٦٧ حتى مع التعديلات الطفيفة ، فالى أى درجة توافق أو تعارض هذا الرأى ؟ » .

وقد أجاب ٢٣١ شخصا أنهم يوافقون على الرجوع الى حدود ما قبل ١٩٦٧ ، بينما أجاب ٢٨٤ شخصا أنهم يوافقون على عدم الرجوع الى هذه الحدود ، وهناك ١١ اجابة غير واضحة .

والفروق بين الموافقين والمعارضين ليست ذات دلالة فى الحقيقة ، مما يدل على أن الصراع حول هذا الموضوع الحيوى قد أخذ يشتد فى اسرائيل بتأثير المتغيرات الجديدة التى دخلت على الموقف بعد زيارة الرئيس السادات .

ان عالم النفس الأمريكى د . « هربرت كيلمان » الأستاذ بجامعة هارفارد ، كان موجودا فى اسرائيل قبل زيارة السادات وأثناءها ، وقد وصف أثر هذه الزيارة التاريخية على الرأى العام الاسرائيلى بقوله (١) :

« . . انه كان خليطا بين الرهبة والترحاب ، فمن ناحية انتشر الشعور العام بأن هناك حدثا تاريخيا خطيرا على وشك

(١) الأهرام ١٩٧٧/١٢/٩ .

الحدوث ، عبر عنه أحدهم بأنه حدث يمثل نقطة تحوّل خطيرة
في الصراع العربي الاسرائيلي . وقال آخر ، من فرط مشاعره :
أن هبوط السادات على أرض اسرائيل حدث يشابه هبوط أول
رائد فضاء على سطح القمر » •

ولقد ذكر د • « هربرت كيلمان » بعض المؤشرات التي
يؤكد بها النجاح السريع للرئيس السادات في تغيير الاتجاه
الاسرائيلي وعبور الحاجز النفسي ، فقال :

« • • فاستفتاءات الرأي العام بين الاسرائيليين قد أوضحت
أن المواطن الاسرائيلي ينظر الى الزيارة باعتبارها كانت ذات
فعالية في كسر حاجز عدم الثقة ، وازالة التشاؤم في الرأي
العام ، فعلى سبيل المثال كان هناك ٤٠٪ من الاسرائيليين قبل
الزيارة يشعرون أن « مصر » ترغب حقاً في السلام مع
اسرائيل وفقاً لاستطلاعات الرأي العام ، وفيما بعد الزيارة
نشرت جريدة « هاآرتس » أن ٩٠٪ من الاسرائيليين أصبحوا
يشعرون بأن « مصر » ترغب في السلام ، كما اتضح من
نفس الاستطلاع أن ٨٠٪ يعتقدون أن فرص السلام قد باتت
أكبر عن ذي قبل » •

هكذا كانت براعة الرئيس السادات في توجيه مبادرة
السلام • •

اقتحم السادات مباشرة الوجدان الاسرائيلي العريض ،
واتجه مباشرة الى القاعدة الشعبية الاسرائيلية ، اذ هي الكفيلة
– بشحناتها الفياضة – بأن تدفع قياداتها الى التغيير الذى
تنشده .. الى السلام .

وكان السادات شامخا جذابا .. ان أحاديثه الصغيرة مع
القادة الاسرائيليين الذين استقبلوه فى المطار ، وتعليقاته
الطريفة معهم قد لمست شغاف قلوبهم .

قال لموشى ديان :

« كيف حالك يا موشى ؟ » ..

ولارىك شارون :

« هذه المرة قد هربت منى ، ولكن اذا عدت الى الثغرة
فسوف تدفع رأسك ثمنا لذلك » ..

ولرئيس الأركان جور :

« أنت كنت تقول أننى أناور وأحاول أن أخدعكم ، ها أنذا
فى القدس » ..

وفى يوم الأحد ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ وقف العالم ينظر الى
الرئيس السادات وهو يبني قواعد السلام وحده .

لقد سجل التاريخ كما أذاعت الأقمار خطابه الرصين فى الكنيسة .. كلماته أنشودة سلام ستظل محفورة فى الوجدان .. وجدان الاسرائيليين والمصريين .. وجدان العرب والانسان فى كل مكان .

قال السادات لشعب اسرائيل :

« .. أنتم تريدون العيش معنا فى هذه المنطقة من العالم . وأنا أقول لكم بكل الاخلاص : أننا نرحب بكم بيننا .. بكل الأمن والأمان .. أننا نقبل بالعيش معكم فى سلام دائم وعادل .. »

فيا كل رجل وامرأة وطفل فى اسرائيل .. شجعوا قياداتكم على نضال السلام . ولتتجه الجهود الى بناء صرح شامخ للسلام ، بدلا من بناء القلاع والمخابىء المحصنة بصواريخ الدمار . قدموا للعالم كله صورة الانسان الجديد فى هذه المنطقة من العالم ، لكى يكون قدوة لانسان العصر .. انسان السلام فى كل موقع ومكان .

بشروا أبناءكم .. أن ما مضى ، هو آجر الحروب ونهاية الآلام ، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة ، للحياة الجديدة .. حياة الحب والخير والحرية والسلام .

• • ويا أيتها الأم الشكلى • • ويا أيتها الزوجة المترملة • •
ويا أيها الابن الذى فقد الأخ والأب .. يا كل ضحايا الحروب ..
املأوا الأرض الفضاء بتراتيل السلام ، املأوا الصدور
والقلوب بآمال • اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر •
اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال • • وإرادة الشعوب هى من
إرادة الله • • » •

صدق يا سادات • • ان الفرحة الملهلة للشعب الاسرائيلى
حين خرج لاستقبالك فى القدس • • كانت إرادة الله • • ان
الفرحة الملهلة للشعب المصرى الذى استقبلك فى القاهرة
حين عدت • • كانت إرادة الله • • وكيف لا ؟ واسمه سبحانه
وتعالى عند اليهود « شالوم » وعند المسلمين « السلام » •

الفصل السادس

الأرض على مائدة المفاوضات



الأرض على مائدة المفاوضات

لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم . .

لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين . .

ذلك هو المبدأ العادل الذى وجهه الرئيس السادات الى الضمير الاسرائيلى فى القدس . وهو الأساس الحق الذى ينبغى أن تقوم عليه المفاوضات بين جميع أطراف النزاع على الأرض المقدسة .

ان بطولة السادات فى مبادرته للسلام ، تتجسد فى أنها فتحت الطريق لأول مفاوضات مباشرة ، على أساس من الثقة والاحترام ، بين العرب واسرائيل . لقد ضاع هباء صوت الحق طيلة الثلاثين عاما الماضية ، بين انفجارات القنابل وأزيز الطائرات ، وبين مشاعر العداوة والشك . فقدت اسرائيل أمنها ، وضاعت من العرب حقوقهم ، واليوم يتفاوض الجميع من أجل تحقيق الأمن واسترداد الحقوق . لقد اعتاد الجميع سلوك الحرب ، ولذلك فهم يعرفون عدتها . أما السلام فلم يألفوا بعد وسائله . . أعنى « المفاوضات » . وسوف تكون هذه المفاوضات - لحداثتها - صعبة على كل الأطراف .

ومن هنا كانت بطولة السادات ، اذ كسر ذلك الحاجز بين الحرب والسلام ، وقاد الجميع الى المفاوضات المباشرة ، من أجل ارساء سلام عادل فى المنطقة ، واضعا أمامهم ذلك الشعار الجامع « لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم » حتى يكون نبراسا منيرا •

ان المفاوضات الناجحة لا بد لها أن تلتزم بالمنهج العلمى الذى يقوم على : الفهم ، والسيطرة ، والتنبؤ • فلا بد أولا من تحليل الظاهرة أو المشكلة المطروحة ، حتى نفهم الأسباب الحقيقية التى أدت اليها ، وبذلك نستطيع السيطرة على المشكلة بمعالجة أسبابها ، ويمكننا حينئذ أن نتنبأ بالحل الأمثل لها •

ولا شك أن أصعب المراحل التى ستمر بها المفاوضات من أجل السلام ، هى المرحلة الأولى « الفهم » ، أى فهم وجهة نظر كل طرف على حدة - من أطراف النزاع العربى الاسرائيلى - ودوافعه الحقيقية الكامنة وراء سلوكه العدوانى ، وفهم طبيعة التفاعل بين وجهات نظر الجميع فى المراحل المختلفة للمشكلة • وكذا فهم المشكلة فى اطار العلاقات الدولية القائمة • وكلما كان الفهم عميقا وعريضا كلما كان الحل جذريا وشاملا •

ومن هنا كان اتجاه الرئيس السادات مباشرة الى نقطة البدء وجوهر الصراع ، الى المشكلة الفلسطينية • فليست الأراضي المحتلة من سيناء والجولان والضفة الغربية الا أعراض سطحية تشير الى المرض الحقيقي الكامن • والانشغال بعلاج تلك الأعراض الظاهرية يعد من قبيل العجز عن مواجهة المرض الحقيقي والتصدي لعلاجه •

على أن الرئيس السادات أراد أن يتحقق قبل تحركه التاريخي هذا ، من شرطين أساسيين لا بد من توافرها قبل الدخول على هذه المرحلة الحاسمة « مرحلة المفاوضات » ، ألا وهما : صدق رغبة الطرف المقابل ، السيد « مناحم بيجين » رئيس وزراء إسرائيل وصاحب القرار فيها ، في تحقيق السلام ، وكذلك قدرته على تنفيذ قرارات السلام التي يتم التوصل اليها من خلال المفاوضات • وكان أن أكد توافر هذين الشرطين الأساسيين الرئيس « شاوسيسكو » رئيس دولة رومانيا وصديق الطرفين • ويبقى بعد ذلك شرط أساسي لنجاح المفاوضات ولتحقيق الفهم الواضح للمشكلة ، أعني توفير المناخ النفسي الصحي لها الذي تسوده روح الثقة المتبادلة بين جميع المشاركين ، ولقد تحقق ذلك بالوثبة التاريخية للرئيس السادات بين القاهرة والقدس •

ويضاف الى هذه الضمانات الثلاثة لنجاح المفاوضات : الرغبة الصادقة في السلام ، القدرة على تنفيذ قرارات السلام ، المناخ النفسي الصحي القائم على الثقة المتبادلة ، عدة شروط

لا تقل أهمية ، تتعلق بالسمات الشخصية للقائمين بالمباحثات •
اذ يجب أن يتمتع كل منهم الى جانب الذكاء ، بدرجة عالية من
المرونة ، وتقبل أفكار جديدة تغاير معتقداته السابقة ، وقبل
ذلك ، أن يتمتع كل منهم بسمّة « الموضوعية » ، أى يستطيع
أن يبتعد - الى حد كبير - عن التحيزات الذاتية (سواء ما كان
منها على مستوى الشعور أو على مستوى اللاشعور) • هذه
الموضوعية هي التي ستمكنه من تحديد الحقائق بوضوح ،
وستوفر له امكانية الاقناع المحكم ، والاقناع النزيه •

واذا كانت مبادرة الرئيس السادات - فضلا عن مبادراته
البطولية على مدى تاريخ كفاحه الوطنى - تؤكد فى وقت
واحد : رغبته الصادقة فى تحقيق السلام العادل فى المنطقة ،
وقدرته الفائقة على اتخاذ القرار وتنفيذه ، مهما كان القرار
جريئا ، وعبقريته القادرة على خلق الجديد الفريد ،
ومرونته التي تجاوزت كل الحواجز ، وكذلك تثبت موضوعيته
النزيهة عن أية تحيزات ذاتية ، بترحيبه بحسن الجوار مع
اسرائيل فى اطار السلام العادل لكل شعوب المنطقة ، فضلا
عن أن المبادرة قد خلقت المناخ الصحى وروح الثقة المتبادلة ،
اذا كانت مبادرة السادات قد حققت كل هذه الشروط
الأساسية لنجاح مرحلة المفاوضات ، فلم يبق اذن كى يتحقق
النجاح الفعلى لها ، الا أن يقدم الجانب الاسرائيلى الاستجابات
التي تنسجم فى الحركة والهدف مع كل ما قدمته هذه المبادرة
الجسورة •

هذه المحددات الأساسية للنجاح قد حددها الرئيس السادات
فى الكنيسة من خلال هذه الكلمات الجامعة :

« ان فى حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء
الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة أن ينظروا الى ما وراء
الماضى بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق
جديدة • وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسئولية الملقاة
على عاتقنا هم أول من يجب أن تتوفر لديهم الشجاعة لاتخاذ
اقرارات المصيرية التى تتناسب مع جلال الموقف ، ويجب أن
نرتفع جميعا فوق جميع صور التعصب وفوق خداع النفس
وفوق نظريات التفوق البالية • فمن المهم ألا ننسى أبدا أن
العصمة لله وحده » •

ان كثير من المترقبين لاستجابات الجانب الاسرائيلي ازاء
المبادرة ، ينظر بعين الشك والريبة تجاه السيد «مناحم بيجين»
رئيس وزراء اسرائيل والسيد « موسى ديان » وزير خارجيته •
ولهم بعض الحق فى توقعاتهم ، التى تشير الى أن قادة اسرائيل
لن يكونوا على مستوى هذا الحدث التاريخى الضخم ، فمنذ
البداية كان خطاب السيد بيجين أمام الرئيس السادات فى
الكنيسة مخيبا للآمال ، ولم يكن حتى على مستوى مشاعر
الشعب الاسرائيلي الذى استجاب بترحاب سريع لخطاب
السادات • الأمر الذى دعى السيد بيجين الى أن يتخذ مواقف
أكثر مرونة من خلال تصريحاته الصحفية بعد ذلك • وتنبع
هذه الشكوك من ذلك الماضى المشؤم لكل منهما ، فما زال اسم

بيجين مرتبطا بمنظمة أرجون الارهابية ، وبمذبحة دير ياسين
التي قتل فيها ٢٥٤ عربيا ، وما زال اسم ديان مرتبطا بعدوانه
في ٥ يونيو وبهزيمته في ٦ أكتوبر .

الا أننا لا يجب أن نتشاءم كثيرا ، اذ أن الرغبة الصادقة
للشعب الاسرائيلي في اقامة السلام وتحقيق الأمن سوف تدفع
بقياداته ، أيا كانت أشخاصها ، الى الطريق السليم ، وسوف
تدفعهم الى اتخاذ مواقف منطقية أثناء المفاوضات (١) . ومع
ذلك فاذا نظرنا الى السمة النفسية على أنها سمة محايدة يمكن
أن تمارس أنواعا مختلفة من السلوك ، بمعنى أن الذكاء
والمرونة مثلا ، يمكن أن يمارسان من خلال الحرب لتحقيق
الأمن الوطنى ، كما يمكن أن يمارسان من خلال السلام
لتحقيق نفس الهدف ، فاننا يمكن أن ننظر بعين التفأؤل
الى الجانب الاسرائيلي بعد التغيير الجوهرى الذى أحدثته مبادرة
السادات .

واذا حاولنا اذن أن نتخذ موقفا وسطا بين التفأؤل
والتشاؤم ، فاننا نقول : أن حركة المفاوض الاسرائيلي سوف
توافق حركة المفاوض المصرى من حيث الاتجاه الى السلام ،
الا أنها سوف تكون من حيث ايقاعها أقل سرعة .

(١) . قد تسقط حكومة « بيجين » اذا فشلت ، ويستبدلها الشعب
الاسرائيلي بحكومة جديدة تحقق أمله فى الأمن والسلام .

الأرض :

الأرض هي التجسيد المادى للمشكلة العربية الاسرائيلية. منذ قيام اسرائيل ، وبسببها قامت كل الحروب • فمن جانب، يستولى الاسرائيليون على الأراضى بالقوة بهدف التوسع وبحجة الأمن • ومن الجانب الآخر ، تحارب مصر وسوريا والأردن ومعهم الفلسطينيون لاسترداد أراضيهـم المحتلة ، وهكذا دفن آلاف من الضحايا فى باطن الأرض ، بدلا من أن يعيشوا عليها • وكانت حرب ٦ أكتوبر هي التى هزت – لا أقول هزت نظرية الأمن الاسرائيلي فحسب – ولكنها قد هزت الاستراتيجية الاسرائيلية التى تهدف الى تحقيق أوهامهم الخادعة لاقامة ما أسموه « اسرائيل الكبرى » ، كما أظهرت. هذه الحرب المجيدة قوة العرب واصرارهم على استرداد حقوقهم مهما طال الزمن بهم • وجاءت مبادرة السلام ، لتعلن أن حرب أكتوبر لا بد أن تكون هي آخر الحروب فى المنطقة ، وأن أسلوبا جديدا يلزم أن تمارسه كل أطراف النزاع العربى. الاسرائيلي كى تحل المشكلة حلا جذريا شاملا ، ذلك هو أسلوب « المفاوضات السلمية » •

وسوف تظل الأرض هي حديث كل المفاوضين ، وان اختلفت الأحاديث باختلاف دافع ونظرة كل منهم الى الأرض وما تعنيه بالنسبة له •

وفي الكنيسة الاسرائيلي حدد الرئيس السادات نظرة
العرب الى الأرض بقوله :

« ان عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا
وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئاً .. ولكي نتكلم بوضوح ،
فان أرضنا لا تقبل المساومة . وليست عرضة للجدل .. ان
التراب الوطنى والقومى يعتبر لدينا فى منزلة الوادى المقدس
طوى الذى كلم فيه الله موسى عليه السلام .. ولا يملك أى
منا ، ولا يقبل ، أن يتنازل عن شبر واحد منه ، أو أن يقبل
مبدأ الجدل والمساومة عليه » .

فماذا تكون نظرة الاسرائيليين الى الأرض ؟

انها نظرة أساسها جوع قهرى وطمع لا محدود .

فى التحليل النفسى .. حالة شهيرة عرفت باسم حالة
« لورا » عالجتها روبرت لندرن (١٩٥٤) . كانت هذه الفتاة
البائسة تعاني من حالة « نوبة أكل قهرى » أى أنها لا تستطيع
— خلال النوبة — أن تتوقف عن التهام الطعام ، تأكل كل
ما يصادفها ، حتى الورق والعلب التى تستخدم لحفظ الأطعمة
المختلفة . على أن « لندرن » قد نجح من خلال جلسات التحليل
أن يشفى هذه الحالة الغريبة ، بوصوله مع « لورا » الى فهم
الجذور النفسية التى أدت الى هذه الظاهرة المرضية .

ولعلنا نأمل أن تؤدي جلسات المفاوضات ، التي سوف تكون أشبه بجلسات العلاج الجماعي Group therapy ، أو لنقل أشبه بجلسات العلاج العائلي Family therapy ، أن تؤدي الى شفاء اسرائيل من ذلك الجوع الأرضي القهري ، والاصرار على الاستيلاء على الأراضي بالقوة وبالحيلة ، في كل الاتجاهات من حولها ، غير عابئة بأن تلك الأرض ملك لمصر أو لسوريا أو للأردن ، بل فقط كل ما يهمها أن تأكل وتأكّل !!

أعتقد أن حجة اسرائيل بأنها تستولي على الأراضي بحثا عن حدود آمنة لها ، لا تعبر تماما عن الدافع العميق لهذا السلوك القهري . ولذلك فإن دحض هذه الحجة من خلال انتصار العرب في حرب أكتوبر المجيدة ، سوف لا يعالج المرض من جذوره ، وسوف تظل اسرائيل تسعى الى ضم مزيد من الأراضي ، حتى وان زادت هذه الأراضي عن حاجتها ، اذ أن الكثافة السكانية في اسرائيل هي أقل منها في بلدان أخرى كثيرة ، ومع ذلك فهي لا تشبع ، وكأنها مدفوعة بصورة قهرية الى الاستيلاء على الأرض من حولها .

وقد نرى اذن ، أن استمرار الحوار من خلال تحديد « مفهوم الحدود الآمنة » قد يعمل على احراج اسرائيل ، ويساعد على تقوية حجج المفاوضات العربي ، أي أنه قد يكون بمثابة العامل المساعد لحل القضية ، ولكنه ليس هو العلاج الجذري للحل الشامل .

وما يؤيد هذا الظن ، أن اسرائيل تسعى لاقامة حدود
آمنة لها ، كى تشجع على هجرة مزيد من اليهود اليها • أى أن
الحدود الآمنة ليست غاية فى حد ذاتها ، ولكنها وسيلة لمزيد
من التضخم والنمو •

ان الدافع الأساسى لهجرة اليهود من مختلف بقاع العالم ••
من « حوارى » اليهود فى مختلف الدول •• الى أرض
اسرائيل ، هو اشباع حاجة نفسية أساسية لكل فرد ، هى
« الحاجة الى الانتماء » • فالأرض هى التى تحدد انتماء الفرد •
وقد شاء الله أن يكتب الشتات على اليهود طيلة القرون
الماضية • كما أن تعرضهم الى كثير من التهديد والاضطهاد
خلق لديهم حاجة أساسية أخرى هى « الحاجة الى الأمن » (١) ،
ولا يد أن يكونوا هم السبب فى خلق هذه العداوة تجاههم
من قبل شعوب مختلفة فى أزمان متفاوتة • الأمر الذى جعل
اليهودى - رغم أنه يعيش فى وطن ما - جعله يفتقر الى
الاحساس العميق بالانتماء الى هذا الوطن ، افتقاره الى
الاحساس بالأمن فى داخله • وذلك على خلاف كل من المسيحي

(١) نظرية « ماسلو » : توجد خمس فئات تقع فيها حاجات الانسان
الأساسية أو دوافعه • وتندرج هذه الحاجات تدرجا هرميا • فالحاجة السفلى
يجب أن تشبع أولا الى درجة معقولة قبل أن تظهر الحاجة الأعلى منها فى
الدرجة • وهى : الحاجات الفسيولوجية ، تليها حاجات : الأمن ، الانتماء ،
التقدير ، وأعلىها : تحقيق الذات • أنظر لنفس الباحث - الولاء - ص ٢٨ •

والمسلم فى مصر على سبيل المثال ، فكل منهما لديه نفس
الاحساس بالأمن وبالانتماء الوطنى ، ويقاثلان معا فى
سبيل تحرير أرضهما .

وهكذا تولد لديهم جوع شديد الى الأرض . . حتى أنهم
إذا ما تمكنوا - كيهود - من مساحة من الأرض أقاموا عليها
دولة اسرائيل ، توهموا ، مثل أى جائع محروم ، أنها لن
تكفى ، وعليهم أن يستولوا على مزيد من الأرض ، خوفا من
شبح الجوع ، أو تعويضا عن سنوات الحرمان . ولعل فى صفة
« البخل » التى عرفت عن اليهود ، فضلا عن « الربا » الذين
اشتهروا به ، ما يوضح الميكانيزمات النفسية وراء سلوكهم
تجاه مختلف الموضوعات .

أما البعد الدينى الذى يستمد منه اليهود الحق فى الاستيلاء
على الأراضى ، من حيث أنهم كما يتصورون « شعب الله
المختار » ، الذى اختار لهم أن يعيشوا على أرضه المقدسة
« اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات ، ففى رأى أنه
يعبر عن مستوى سيكلوجى أعمق من المستوى الذى تقف عليه
نظرية الأمن الاسرائيلى . ولذلك فهو جدير بأن تتم معالجته ،
معالجة موضوعية قوية .

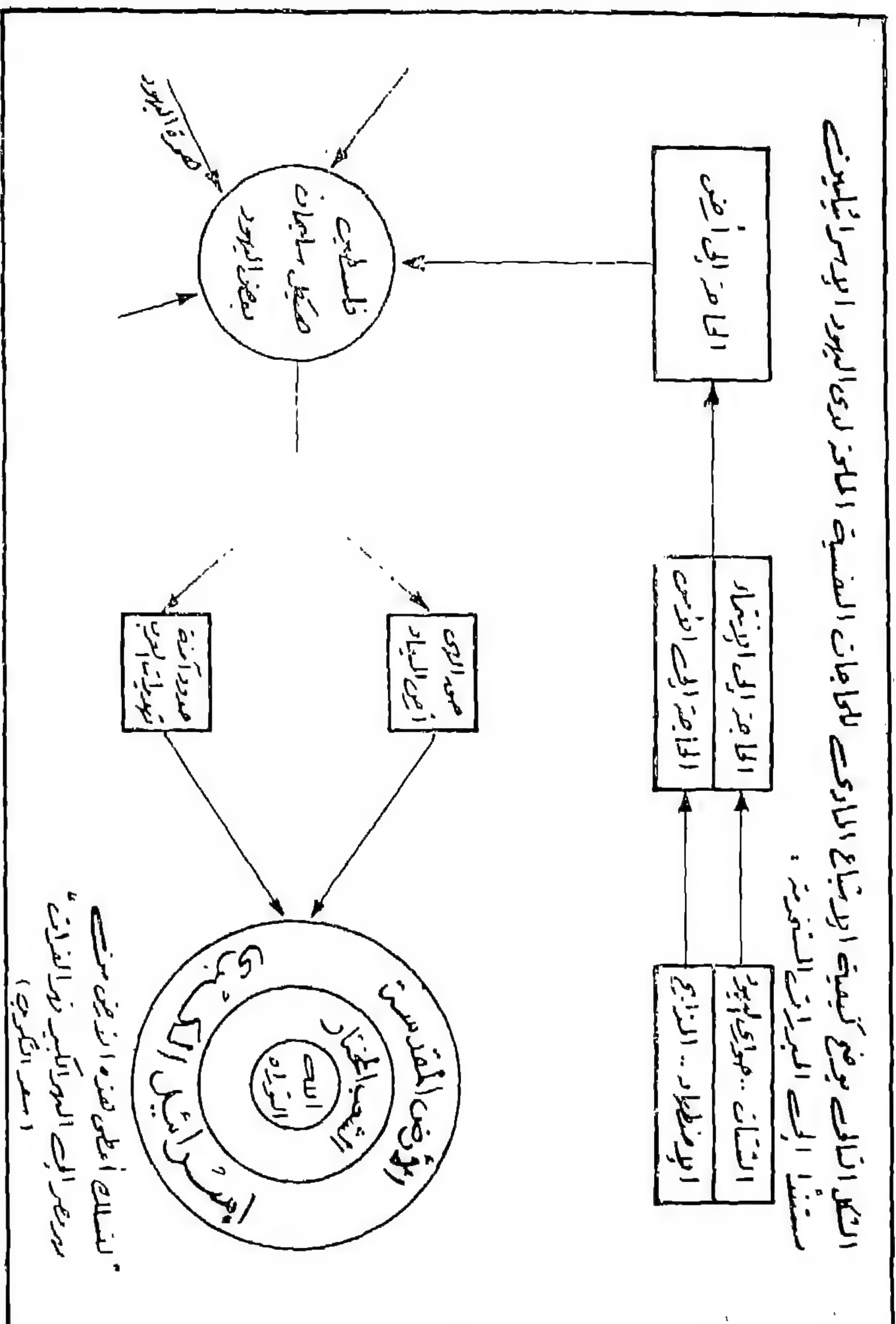
فاليهود - تحت المحاح الحاجة النفسية الأساسية « الحاجة
الى الانتماء » ، بالاضافة الى المحاح « الحاجة الى الأمن » - خلقت
لديهم الحاجة الى « أرض » لتحقيق الانتماء والأمن المطلوبين .

وحيث أن اليهودية كدين ، هي التي تربط بينهم - وهم
شتات من مختلف اللغات والألوان ، فكانت أرض فلسطين
وفيهما هيكل سليمان ويعيش بها بعض اليهود ، هي خير
ما يستقطبهم جميعا ، وخير تجسيد مادي للحاجة النفسية
للانتماء . ومن ثم أضفوا على هذه الأرض قداسة شديدة
تيسر لهم الادعاء بأنها حق لهم ، وأن الله قد منحها لهم . بل
انهم أقاموا ثالوثا يهوديا يوحد بين : الله أو التوراة ، وبين
الشعب المختار ، وبين الأرض المقدسة . وهي الأرض المختارة
التي يرعاها الله ، « أرض الميعاد » التي « وعد » الله بها
ابراهيم وعاهده على أن تكون لنسله ، الأرض التي تفوق في
قدسيته أى أرض أخرى لارتباطها بالشعب المختار « الواحد
القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه ولم
يستطع العثور على أية بلاد جديدة بأن تمنح لاسرائيل سوى
أرض اسرائيل » . وتعاليم التوراة لا يمكن أن تنفذ كاملة
الا في الأرض . وقد أصبحت السكنى في الأرض بمثابة
الايمان « لأن من يعيش داخل أرض اسرائيل يمكن اعتباره
مؤمنا ، أما المقيم خارجها فهو انسان لا اله له » (كما جاء في
أحد أسفار التلمود وفي أحد تصريحات بن جوريون) .
والمجدير بالذكر هنا ، أن تلك النظرة هي على طرف النقيض
من الاسلام الذي بدأ في مكة والحجاز ثم انفصل عنهما ، لأنه
دين مرسل لكل الناس في كل زمان ومكان ، ولا تقاس التقوى
بمداي القرب أو البعد عن مكة ، وإنما بمدى القرب أو البعد
عن القيم الأخلاقية الاسلامية .

ويستخدم اليهود عادة مصطلح « آرتس اسرائيل »
ويبتعدون عن استخدام أى مصطلح مثل « فلسطين » قد
يشتم منه أى وجود « تاريخى » غير يهودى ، فالاعتراف بمثل
هذا الوجود ينسف ادعاءاتهم من أساسها ، ويضعف من
مقاومتهم الوجدانية للواقع القائم فى أرض الميعاد .

وتعتبر مشكلة حدود أرض اسرائيل أمرا مطروحا من
وجهة النظر اليهودية ، اذ أن خريطة اسرائيل التى وردت فى
سفر التكوين على أنها « من نهر مصر الى النهر الكبير نهر
الفرات » تغاير خريطتها التى وردت فى سفر العدد على أنها
« أرض كنعان بتخومها » فقط . وقد حل المحاكمات هذه
المشكلة بأن شبهوا الأرض بجلد الابل الذى ينكمش فى حالة
العطش والجوع ويتمدد اذا شبع وارتوى . وهكذا الأرض
المقدسة !! تنكمش ان هجرها ساكنوها من اليهود وتتمدد
وتتفرج ان جاءها اليهود من يقاع الأرض !! وما يؤكد هذه
القناعة الزائفة قول بن جوريون « بأن الجيش الاسرائيلى هو
خير مفسر للتوراة » ، ومن بعده قول جولدا مائير « بأن حدود
اسرائيل تكون حيث يقف آخر جندى اسرائيلى » .

ونستخلص اذن ، أن الأرض كانت هى وسيلة الاشباع
المادية لحاجات نفسية أساسية كانت أشدها إلحاحا حاجتى



الانتماء والأمن ، وكانت أرض فلسطين هي الأرض المستعدة لتقبل شحنات قدسية يهودية حتى تيسر لهم الادعاء بأحقيتها ، فاذا أقاموا دولة إسرائيل ، سعوا الى الاستيلاء بالقوة على مزيد من الأراضي ، وذلك بتأثير الآثار السلبية المرضية التي خلفها ماضيهم الأليم • واستغلوا في ذلك حجتين ، حجة تقال الى اليهود في إسرائيل وخارجها ، تؤكد حقهم الالهي في هذه الأراضي ، وبذلك يحاولون تجنب مشاعر الذنب والاثم من قبل الضمير اليهودي ، وحجة تقال الى أصحاب الأراضي السلبية وبقية دول العالم ، تؤكد أنهم قد استولوا على هذه الأراضي طلبا لحقهم الانساني في أن يعيشوا داخل حدود آمنة. هذا فضلا عن أن الذكاء اليهودي يستطيع المزج بين كلا الحجتين حسب المواقف المختلفة •

ويتضح من الشكل السابق أن قيام إسرائيل على أرض فلسطين وعلى حساب الشعب الفلسطيني ، قد عالج من وجهة النظر السيكلوجية الحاجة الأساسية الى الانتماء ، التي تولدت نتيجة الشتات اليهودي ومعاناتهم الطويلة ، والتي خلقت الحاجة الى الأرض بغية اشباعها • الا أن الاستراتيجية النفسية اليهودية قد حددت المسار الى أرض الميعاد «إسرائيل الكبرى» ، حتى تضمن عمليات اشباع مستمرة لذلك الجوع الأرضي

الشديد ، الذى استمر قرونا طويلة عبر فترات مشحونة
بالمعاناة والاضطهاد .

ومن هنا فان الاستراتيجية العربية - والمفاوضات السلمية
هى وسيلتها فى المرحلة الراهنة - اذا اتجهت فقط لمعالجة
الحجة الاسرائيلية التى تنادى بالحدود الآمنة ، سواء تمت هذه
المعالجة عن طريق ضغط قوى كبرى (أمريكا ، الرأى العام
العالمى) ، أو الضمانات الدولية ، أو الانفتاح السلمى فى
شتى المجالات ، أو عن طريق بدائل أخرى ، فان ذلك لن يكفى
وحده لضمان استمرار قناعة اسرائيل بالعيش داخل حدود
ما قبل عام ١٩٦٧ . اذ أن الوهم الخادع - الحق الالهي فى
أرض الميعاد « اسرائيل الكبرى » - قد أصبح عقيدة راسخة
فى عقول معظم الاسرائيليين ، سواء جيل الرواد الذين نشأت
اسرائيل على أكتافهم ، أو سواء أجيال الصابرا المولودة فى
اسرائيل والتى تمت تنشئتها بالفعل على هذه العقيدة من
خلال حياة الكيبوتزات وما تلقوه فى المدرسة التلمودية وفى
الصلاة اليومية ، وقد كان خطاب السيد بيجين فى الكنيسة
أمام الرئيس السادات مشحونا بهذه المعانى المقدسة . ومن ثم
فلا بد للاستراتيجية العربية أن تتجه أيضا - اذا أرادت حلا
جذريا للمشكلة الفلسطينية الاسرائيلية - الى معالجة مفهوم
الحق الالهي وأرض الميعاد داخل العقل اليهودى الاسرائيلي ،
بشرط أن تختار الأسلوب والوقت المناسبين .

ان المعالجة المزدوجة لكل من مفهومي الحدود الآمنة ، وأرض الميعاد ، داخل العقل اليهودي الاسرائيلي ، هي الضمان الحقيقي. لاستمرار قناعة اسرائيل بالعيش في سلام داخل حدود ما قبل ١٩٦٧ . حينئذ تحقق الأرض الاشباع الكامل لحالة الجوع الأرضي التي تعانيها اسرائيل . وبذلك تستطيع أن توجه طاقاتها الى البناء داخل هذه الحدود الآمنة ، بدلا من تبديدها في الاستيلاء على أراضى جديدة أملا في تحقيق سراب خادع .

ان الحل الجذري للصراع العربي الاسرائيلي لا بد أن يتناول ، بالاضافة الى تلك المعالجة المزدوجة تجاه الجانب الاسرائيلي ، معالجة أخرى لا تقل صعوبة ، وربما تكون متعددة الأبعاد ، تجاه الجانب الفلسطيني متعدد الاتجاهات . ان الأساس الوحيد الذي يمكن أن تقوم عليه هذه المعالجة متعددة الأبعاد هو : إقامة دولة فلسطينية ، واعطاء الشعب الفلسطيني حق تقرير المصير .

لقد خلق الاسرائيليون بانشاء دولتهم منذ ثلاثين عاما لدى الشعب الفلسطيني نفس الجوع الأرضي ، ولكن الأساس يختلف . اذ أن الحقيقة التي لم تمت بعد ، تقرر أن هذا الشعب الذي تم اخراجه من بلده - بطريقة أو بأخرى - انما يطلب حقا يقره الله والانسان في كل مكان . فاذا رضى هذا الشعب الفلسطيني بأن يدفع تعويضا من حقوقه ، عن

كل ما عاناه اليهود من تهديد واحتقار وشتات في بقاع
العالم المختلفة على مدى تاريخ طويل ، ورضى بحدود إسرائيل
التي أقرها المجتمع الدولي ، أليس من حقه إذن أن يعيش هو
الآخر في دولة يقرها المجتمع الدولي ؟ !

! ومن هنا كانت أهمية المبدأ الأخلاقي الذي نادى
به الرئيس السادات خلال مبادرته للسلام ، حتى يكون
دستور عمل لكل الأطراف أثناء المفاوضات ، اذا ما أرادوا
الوصول الى أرض الحق والأمان .

« لا تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم .. »

« لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين .. » .

الفصل السابع

معا . . نحو مستقبل مشرق



معا . . نحو مستقبل مشرق

الحاضر والمستقبل :

من فوائد النقيض أن يظهر لنا فى وضوح نقيضه الآخر « والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى » ، واذا كنا بصدد تحليل لمبادرة السلام التاريخية للرئيس أنور السادات ، فاننا يفهم طبيعة التفكير ، سواء لهؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم « جبهة الرفض » ، أو سواء لبعض العقول الجامدة فى القيادة الاسرائيلية ، يتجلى لنا المنهج الفكرى للسادات . ولا شك أن التناقض القائم الآن يشير الى وجود اختلاف مناظر له فى اتجاه حركة كلا الجانبين الى الحاضر الذى نعيش ، كما يقابله فرق كبير فى ايقاع هذه الحركة .

ان هؤلاء الرافضين وذوى العقول الجامدة ، اذا صرفنا النظر عن الدوافع الذاتية البغيضة التى تلوث بعضهم ، يسيرون فى تفكيرهم - على أحسن تقدير - من الماضى . . الى الحاضر . . ومن ثم يكون تصورهم للمستقبل .

هذا المنهج الفكرى يتميز بما يلى :

- أنه منهج تقليدى • أساسه التعاليم المدرسية التى ما زالت تلقن فى منطقتنا •

- يتصف بالايقاع البطيء ، اذ أن سرعة التغير والتطور فى الماضى تتميز بالبطء ، ومن ثم يكون التفكير فى الحاضر متأثرا بنفس ايقاع الحركة فى الماضى ، مما يجعل الرؤية للمستقبل قاصرة وخاطئة •

- أنه يؤدى بالضرورة الى تصور للمستقبل طابعه التشاؤم ، اذ يستمد مادته من ماضى طابعه الكراهية والعدوانية والحروب المتبادلة فى الصراع العربى الاسرائيلى •

هذا المنهج الفكرى ، نظرا لتقليديته ، ولايقاعه البطيء ، ولطابعه التشاؤمى ، لا يمكن أن يعمل على تغير جذرى لحاضرنا كى يتلاءم مع المستقبل الذى تأمل •

أما الرئيس السادات فان منهجه الفكرى يسير فى اتجاه مضاد ، فهو يبدأ من المستقبل •• متجها الى الحاضر •• وفى نفس الوقت ينتقى من الماضى دروسه المفيدة •

هذا المنهج الفكرى يتميز بما يلى :

- أنه منهج خلاق لا يقدر عليه الا شخصية ابتكارية تستطيع أن تنفصل مؤقتا عن سلاسل الماضى والحاضر ، كي تنفذ ببصيرتها الى استقراء المستقبل الممكن والمأمول .

- يتصف بالايقاع السريع ، اذ أن سرعة التغير والتطور تؤكد أنها فى الحاضر أسرع كثيرا من الماضى ، كما أنها سوف تكون أسرع كثيرا جدا فى المستقبل عنها فى الحاضر

- أنه يساعد بالضرورة على تصور للمستقبل طابعه التفاؤل، وذلك من حيث أن التفاؤل أحد المكونات الأساسية فى شخصية الرئيس السادات ، ومن حيث أنه ينفصل عن ذلك الماضى الذى تسوده الكراهية والحروب ، فضلا عن أن هذا التصور المستقبلى سوف يتلون بالضرورة بالآمال التى يتمنى الرئيس السادات أن يحققها لأمتة .

هذا المنهج فى التفكير ، نظرا لابتكاريته ، ولايقاعه السريع ، ولطابعه التفاؤلى ، هو فقط الذى يستطيع أن يغير الحاضر تغيرا جذريا ، ويجعله أكثر ملاءمة للمستقبل الذى نصبو اليه .

ذلك التضاد فى اتجاه الحركة بين الرئيس السادات وبين أولئك الرافضين وأصحاب العقول الجامدة فى القيادة الاسرائيلية ، وكذلك الاختلاف فى ايقاع حركة كل منهما ،

هو الذى يسبب التناقض القائم فى وقتنا الحاضر – اذا افترضنا جدلا صدق نيات هؤلاء ذوى التفكير القاصر ، وهو لا شك افتراض مستحيل •

ولعل هذا الاختلاف فى منهج التفكير ناتج عن تفاوت حضارى بين عقول أصحابها • وما يدعم هذا التفسير ، أن مبادرة السلام قد لاقت تأييدا عظيما ، واحتراما واضحا ، من الدول المختلفة فى العالم والمتفق على أنها دول تتمتع بسبق حضارى • وان كان الاتحاد السوفييتى ومن يدور فى فلكه قد عارض مبادرة السلام – وليس لنا بالطبع أن نستبعده من عالمنا المتحضر وهو يعتبر ثانى قوة فى هذا العالم – الا أنه من البديهيات أن معارضته هذه ، لا تأتى من موقف موضوعى ، بل هى رد فعل متوقع لانحسار نفوذه عن المنطقة تدريجيا ، منذ اخراج خبرائه من مصر فى مبادرة سابقة للرئيس السادات •

ان عظمة الرئيس السادات أنه يجسد فى عقله وقلبه حضارة مصر •• حضارة سبعة آلاف عام تملأ تاريخا عريضا ، فيه من الأمجاد العظيمة ما يوحى دائما بالأمل ، وفيه من الآلام العظيمة ما يوحى دائما بالعبر •

مصر عام ٢٠٠٠ :

ان أعظم ما وجهه الرئيس السادات الى مصر طيلة كفاحه الوطنى المجيد ، أن جسد رؤياه المستقبلية فى شعار « مصر عام ٢٠٠٠ » حتى تتوجه مصر كلها اليه . وما كانت ثورة ٢٣ يوليو ، وثورة ١٥ مايو ، واطلاق الحريات ، والانفتاح الاقتصادى ، وانتصار ٦ أكتوبر ، ومبادرة السلام ، الا خطوطا تسهم فى رسم الملامح التى يراها هذا القائد الملمهم لمصر المستقبل . أن كلماته التالية حددت المنهج والطريق نحو ذلك المستقبل المشرق .

« نحن اليوم نحتاج الى الأصالة والى الفكر والعلم والعمل لكى نأخذ الأمل بأيدينا ، ولكى نصنع به مستقبلنا ونساهم به فى صنع مستقبل أمتنا العربية كلها ، ونحقق ونؤكد دورا عربيا لا غنى عنه ولا بديل عنه فى تشكيل عالم جديد يقوم على الحق وينشد السلام العادل » .

ان زعيما مثل السادات . . يملك هذا البناء النفسى الرصين . . الذى يقوم على أعمدة راسخة عملاقة . . أسمىنا بعضها فى الفصول السابقة من هذا الكتاب : علم .. وإيمان .. وعبقرية .. وبطولة .. وولاء .. واقدام .. وسلام ،

لهو الرجل الذى تتمناه مصر زعيما وقائدا فى مسيرتها
التاريخية حتى تحقق صورتها التى تأمل فى عام ٢٠٠٠ .
أطال الله فى عمره ومنحه الصحة والقوة .

واذا كان السادات فى أعيننا هكذا . . فمن يكون هو فى
عيون العالم ؟ فلنختار أربعة رجال عظام ينوبون عن أمريكا
وأوروبا وآسيا وأفريقيا . .

قال عنه الرئيس « كارتير » :

« اننى لم أقابل أى رئيس أو مسئول أمريكى ، الا وحدثنى
بصدق عن اعجابه الشديد بذكاء الرئيس السادات وتطلعاته
وشجاعته . . واننى شخصيا سأتعلم الكثير من الرئيس
السادات . . وأتطلع مخلصا الى اقامة صداقة شخصية وحميمة
مع الرئيس السادات » .

وقال عنه « هلموت شميت » :

« اذا كانت هناك فرصة للسلام اليوم ، فان هذا يرجع فى
المقام الأول الى سياستكم الحكيمة ورغبتكم الحقيقية فى سلام
العالم . . وفى هذا السبيل تحملتم الكثير من المتاعب ، وبذلت
الجهود المتصلة لشرحها والحصول على تأييد من العالم ، بحيث
أصبحت القضية عامة على كل لسان فى أوروبا » .

وقال عنه « شاه ايران » :

« ان قيادتكم الحكيمة يا فخامة الرئيس وأساليب عملكم التي قد جمعت بين الثقة ورؤية الحقيقة لم تكن مكللة بالنجاح بالنسبة لمصر فحسب ، بل لدبلوماسية العالم العربي أيضا واني لأرجو من صميم قلبي أن تكلل مساعيكم الدائبة بالنصر والتوفيق حتى النهاية ، لأن عالمنا المتأزم يحتاج اليوم أكثر من أى شئ آخر الى زعماء من ذوى المنطق والواقع والحكمة ».

وقال عنه الرئيس السنغالي « ليوبولد سنجور » :

« ان الرئيس السادات رجل دولة عظيم يقود شعبه بحكمة .. وأنه من القادة الذين لا يميلون للدعاية والظهور .. ويتركون أعمالهم الخالدة فى خدمة شعبهم والانسانية تتحدث عنهم » .

معا .. نحو مستقبل مشرق :

ان السيد الرئيس « محمد أنور السادات » وسيدة مصر الأولى « جيهان السادات » ليكونان معا نموذج الزوج البشرى القادر دائما على أن يمنح لأمتة الحرية والحب .. وأن يزرع لها الوفاء والأمل .. وأن يمد يد السلام للإنسان فى كل مكان .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها .
وجعل بينكم مودة ورحمة . ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

ومن تاريخ كفاح هذا الزوج العظيم نلاحظ توافقا عظيما
في اتجاه حركة كل منهما وفي ايقاع خطاه . فيكون التكامل
على أفضل ما يكون .

فخلال حرب أكتوبر المجيدة حين كان زعيم مصر يقود أمته
الى النصر ، كانت سيدة مصر الأولى تضمد جراح أبطالها .
وبينما اتخذ الرئيس السادات من نصر أكتوبر قاعدة صلبة
لاطلاق مبادرته التاريخية للسلام ، قامت السيدة جيهان
السادات ، ونيان الحرب لم تتوقف بعد ، بمبادرة انسانية
فريدة ، حين ردت على خطاب ، أم يهودية ، أرسلت تطلب
مساعدها في ارسال جثة ابنها المفقود ، فعبرت بأمومتها
وانسانيتها الحواجز التقليدية ، وغرست . . في تربة حرب
وعدوان . . بذور حب وسلام .

كما أن سيدة مصر الأولى تتمتع أيضا - مع السيد
الرئيس - بهذا النوع من التفكير الخلاق ، الذي يبدأ بالتصور
الممكن لمستقبل مشرق ، كى يجعل من الحاضر مرحلة ممهدة له ،

آخذاً في اعتباره دروس الماضي وعبره • ونجد في كلماتها التالية من حديثها ، ما يؤكد هذه السمة المبدعة (١) •

« ان المرأة المصرية ارتفعت الى مستوى المسئولية • رأيتها وهي تعطى عطاء كاملاً • رأيتها في حرب أكتوبر • والمرأة اليوم أمامها مسئولية كبرى • حتى تربية الأبناء بأسلوب جديد • مطلوب منها أن تغير مفاهيم الأبناء • لقد حضرت معارض لرسومهم ، كان يسيطر عليها الدبابة والطائرة والمدفع والصاروخ ، وصور طفل يقتل اسرائيليا ، الى آخر هذه المناظر التي توحى بالحرب والدمار •

واليوم تغير المفهوم ، على الطفل أن يوجه للسلام • وأن يرسم حمامة السلام والزهور الجميلة وأن تتغير الصورة أمامه.

فاذا تصورنا حب الأبناء للسلام وفهمهم لهذه القضية لتصورنا مقدما عطاءهم في المستقبل ومقدار سعادتهم واقبال الأبناء على الحياة » •

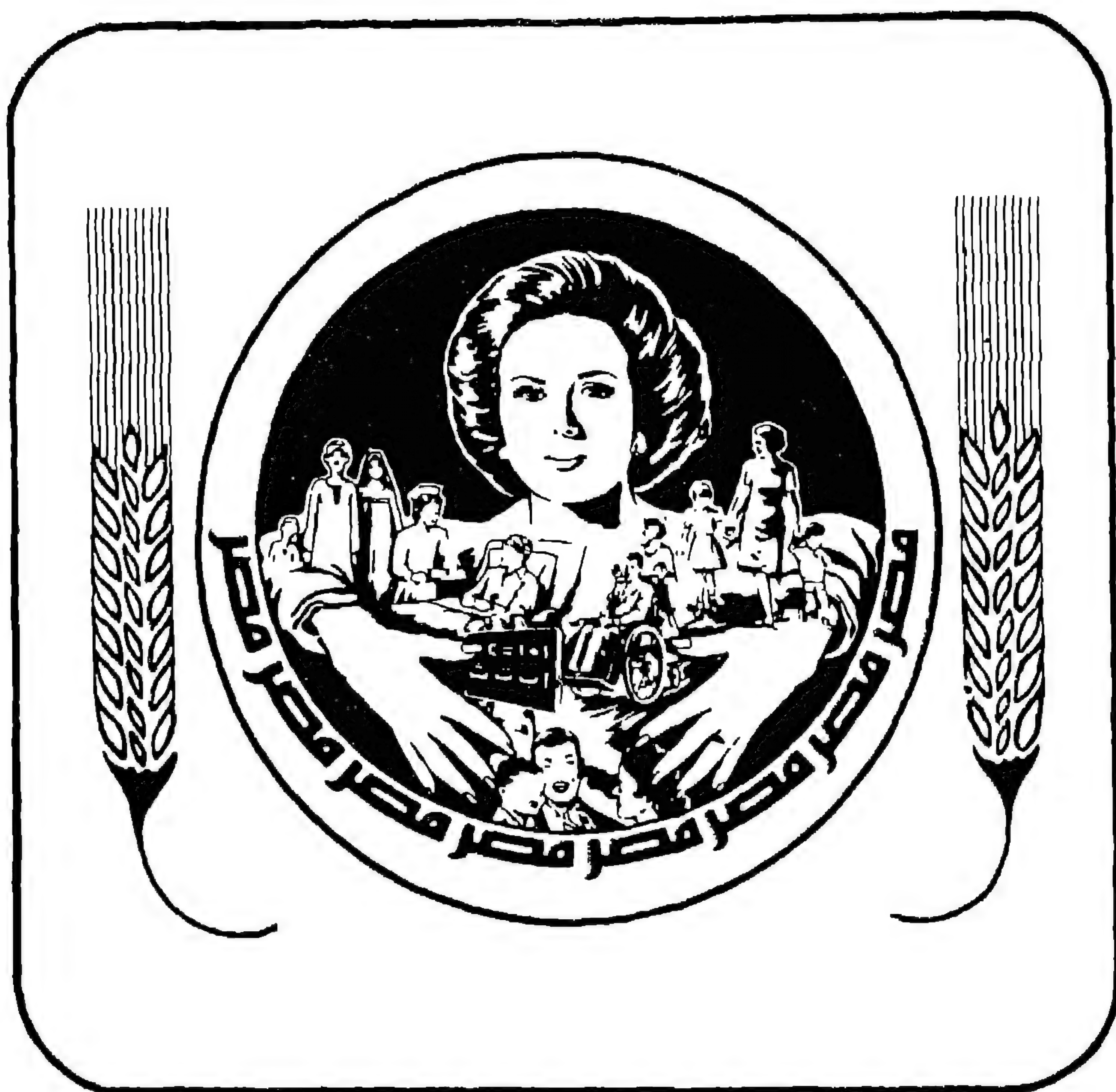
(١) الأهرام في ١٩/١٢/١٩٧٧ •

ان كل غريب عن شعب مصر يتابع مترقبا نتائج مبادرة
السادات للسلام ، ليحكم عليه بالنجاح أو بالافخاق ! ولكن
شعب مصر العريق قد رأى النجاح باهرا منذ أن رأى زعيمه
يخطب فى القدس .. بعد أن صلى فى المسجد الأقصى .. لقد
رأى الشمس والنور وغصن الزيتون .. رأى حمائم السلام
تحلق بعد أن عجزت صقور الحرب .. وسمع أناشيد السلام
تغنى بعد أن بحت صيحات الحرب .. فعرف أنه على مشارف
مستقبل مشرق .. سينعم فيه الجميع بالاخاء والرخاء ..
وأدرك أن اسراء السادات من القاهرة الى القدس .. يتلوه
معراج الانسان .. حيثما كان .. بروح الايمان .. الى
سمااء الرحمن .. يطلب من الملك القدوس .. السلام ..

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبني قواعد المجد وحدي
قل لمن أنكروا مفاخر قومي مثل ما أنكروا مآثر ولدي
هل وقفتم بقمة الهرم الأك ببر يوما فريتم بعض جهدي
نظر الله لي فأرشد أبنا نئي فشدوا الى العلا أي شد
وارفعوا دولتي على العلم والاخ لاق فالعلم وحده ليس يجدي
اننا عند فجر ليل طويل قد قطعناه بين سهد ووجد
وتجلى ضياؤه بعد لأي وهو رمز لعهدى المسترد
فاستبينوا قصد السبيل وجدوا فالمعالي مخطوبة للمجد

(حافظ ابراهيم)



الوفاء والأمل .. أم المصريين
سيدة مصر الأولى «مميهاة السافلر»

« المراجع الرئيسية »

أقدم جزيل شكرى وعرفانى للسادة المؤلفين والمترجمين
للمراجع التالية :

- ١ - السيد يسين • الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى
والمفهوم العربى - القاهرة . مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية - ١٩٧٣ • الفصل الرابع •
- ٢ - أنيس منصور • الحائط والدموع - القاهرة • بيروت •
دار الشرق - ١٩٧٣ - ص ١٤٢ ، ١٥٢ ، ٢٨٥ •
- ٣ - أنيس منصور • الصابرا « الجيل الجديد فى اسرائيل » -
القاهرة • المكتب المصرى الحديث ١٩٧٤ - ص
٢٢٨ - ٢٤٠ •
- ٤ - حمدى الكنيسى • السادات رجل القرارات - مقال فى
كتاب « السادات من القرية الى الثورة » - القاهرة •
دار الهلال - ١٩٧٧ - ص ٢٤١ •
- ٥ - سمير عبد العزيز فرج • علم النفس فى المخابرات
العامة - القاهرة • المخابرات العامة ١٩٧٦ • الفصل
الثانى •

- ٦ - سمير عبد العزيز فرج • الولاء « دراسة نظرية
تجريبية » - القاهرة • المخابرات العامة • ١٩٧٧ •
الفصل الأول •
- ٧ - سيد محمد غنيم • سيكلوجية الشخصية - القاهرة •
دار النهضة العربية ١٩٧٣ • ص ٤٦٠ - ٤٦٢ •
- ٨ - عبد الوهاب المسيرى • الصهيونية والوعى الزائف •
مقال فى كتاب « حرب أكتوبر • دراسات فى الجوانب
الاجتماعية والسياسية » - القاهرة • المركز القومى
للبحوث الاجتماعية ، مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية - ١٩٧٠ • ص ٩٥ •
- ٩ - عبد الوهاب المسيرى • موسوعة المفاهيم والمصطلحات
الصهيونية - القاهرة - مركز الدراسات السياسية
والاستراتيجية ١٩٧٥ • ص ٩٥ •
- ١٠ - قدرى حفى • تجسيد الوهم « دراسة سيكلوجية
للشخصية الاسرائيلية » - القاهرة • مركز الدراسات
السياسية والاستراتيجية - ١٩٧٠ •
- ١١ - قدرى حفى • تأملات سيكلوجية حول دلالات
٦ أكتوبر - مقال فى كتاب « حرب أكتوبر - أنظر
مسلسل ٨ » • ص ١٠١ •

- ١٢ - محمد فيصل عبد المنعم • نظرية الأمن الاسرائيلي بعد
حرب أكتوبر • مقال في كتاب « حرب أكتوبر - أنظر
مسلسل ٨ » • ص ٧٨ •
- ١٣ - محمود الزياىدى • علم النفس الاجتماعى - القاهرة •
مكتبة سعيد رأفت - ١٩٧١ • ص ١٤ •
- ١٤ - آرثر م • شليزنجر (الاين) • انحطاط الأبطال • مقال
في كتاب « مفامرات العقل » • ثرولسن ، كوبلر -
ترجمة محمد فياض - بيروت • مكتبة منسيمنه -
١٩٦٢ • ص ١٦٧ - ١٨٤ •
- ١٥ - ألفين توفلر • صدمة المستقبل - ترجمة محمد على
ناصف - القاهرة • دار نهضة مصر - ١٩٧٤ •

المراجع الأجنبية

- 1 — Harkabi, Y., Arab attitudes to Israel, Jerusalem: Israel Universities Press, 1972.
- 2 — Harkabi, Y., Basic factors in the Arab collapse during the Six-Day War, in: Orbis, Quarterly Journal of World Affairs, Vol. XI, Fall 1967, No. 3.
- 3 — Heradvsteit, D., Israeli elite perceptions of Arab-Israeli Conflict, Journal of Palestine Studies, Vol. II, No. 3. 68-93.
- 4 — Friedlander, S., Réflexions sur l'avenir d'Israël, Paris Editions du Seuil, 1969.
- 5 — Robins, E. Attitudes, stereotyp and prejudices among Arabs and Jews in = New Outlook, Vol. 15, No. 9, (136), Nov. - Dec. 1972, 36-48.

فهرست

صفحة

٧	تقديم (بقلم السيد الوزير / رئيس المخابرات العامة)
٩	مقدمة
١٣	الفصل الأول : علم وايمان
٢١	الفصل الثاني : عبقرية وبطولة
٢٩	الفصل الثالث : الولاء الحق
٤٥	الفصل الرابع : الحاجز النفسى
٧٥	الفصل الخامس : الحرب والسلام
٩٥	الفصل السادس : الأرض على مائدة المفاوضات
١١٥	الفصل السابع : معا .. نحو مستقبل مشرق
١٢٩	المراجع الرئيسية



054
956

Bibliotheca Alexandrina



0646070